البدو في المجتمع العربي الحديث

بقلم مكي جميل

وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية العراقية

* * *

البدو فريق كبير من ابناء البلاد العربية يعيشون مترحلين غير مستقرين ، وهم في الواقع يكونون اكثرية ملحوظة في بعض اقطارها العربية ، ولهم عادات واخلاق محمودة، وهم اباة الضيم كرماء صبورون شجعان قانعون ، يعتزون بحريتهم ويفدونها بارواحهم ، متمسكون بعنعناتهم وما جبلوا عليه من طبيعة المعيشة في البوادي وعدم الفتهم للمدن . وهم يرتحلون خلال فصول السنة الى حيث المرعى ومنابع الماء وكثيرا ما يصطدم بعضهم ببعض خلال هذا الارتحال الدائم وتقع بينهم منازعات دموية مؤسفة تبقى آثارها امدا طويلا وتبقى عادة الاخذ بالثار من جراء هذه الاصطدامات تعمل في نفوس افرادها عملا له نتائجه السيئة على الجميع .

ان المجتمع العربي في الاصل مجتمع بدوي ، واهل الريف بل اهل الحواضر نفسها ، هم من عرب البادية تمصروا وسكنوا المدن وعمروا القرى وتوطنوا في ارض يملكونها ويزرعونها ويعيشون عليها ومنها ، وذهب عنهم كثير من يبوسة البداوة وعنجهيتها ، وتخلصوا من عادات قديمة لا تأتلف وروح الحضارة وميزانها المدني ، مع بقاء كثير من العادات العربية الحميدة تملك نفوسهم وتزين حواشي حياتهم الحضرية الجديدة بما يكسبهم فضلا على فضل .

والبلاد العربية من حيث مساحتها بلاد شاسعة يمكن ان يسكنها ويشغلها اضعاف سكانها الحاليين . وكلما ازداد استغلال الارض وعمرت بالقاطنين المتوطنين ارتفع مستوى مدنيتها ومستوى معيشة سكانها وارتقى شانها وجزل خيرها .

لذلك كان من الواجب المحتم السعي الحثيث لتوطين البدو في بلادهم وتهيئة السبل التي تحقق هذا الغرض القومي العظيم الاهمية ، فان ترك هذه (الكمية) البشرية العظيمة من ابناء البلاد في حالتهم البادية وفي ترحالهم وعدم توطنهم وخدمة الارض بسواعدهم وخدمتهم هم انفسهم لحلولهم المحل الكريم السعيد في المجتمع العربي الحديث . . ان تركهم بهذا الشكل يعني اهمالا لخير اكيد وتقصيرا في حق هؤلاء المواطنين واجحافا بمصلحة الامة في اقطارها جميعا .

ان في افراد هذا الفريق الكريم من العرب ينبوعا من النبوغ والالمعية اذا ما احيطت بالعناية وفسح لها مجال الظهور والبروز كان ذلك من شأنه ان يزيد كثيرا من سعادة المجتمع العربي كله وتقدمه وازدهاره .

من هؤلاء البدو ؟ انهم الاصول التي انحدرنا منها . . . انهم الدم النقي العربي الذي نعتز به كل الاعتزاز ونفتخر به كل الفخر .

ان تمسك البدوي بالبادية وتمسكه ببعض العادات غير المستحبة عند الحضر يمكن ان يذهب بتبديل بيئته ، فالبيئة التي تحيط بالبدوي هي التي فرضت عليه تقاليده وعاداته فاذا غيرنا بيئته ببيئة حضارية جديدة أساسها الاستقرار امكننا ان نثق بأن البدوي سيعود مواطنا جديدا نافعا تاركا عاداته غير المستحبة مستبقيا على عاداته المستحبة مندمجا في مجتمعه العربي سائرا في ركاب الحضارة الى المدى البعيد السعيد .

ان توطين البدو سيقضي على الفقر الذي يعانونه ، وهو من اهم اسباب تأخرهم وقلقهم وعدم استقرارهم ، وسيقضي على الجهل ايضا ، هذا البلاء النازل بهم الذي ينبغي تخليصهم منه لكي تتفتح اذهانهم السليمة الى حقائق الحياة الحضرية الاجتماعية السعيدة .

ان توطين البدو او ادماجهم في المجتمع العربي يستلزم تشجيعهم على التلبث في الارض بعد توزيعها عليهم ، وتمليكهم اياها ، ومساعدتهم على استغلالها وبث الدعوة لهذا الغرض بينهم ، وخصوصا تكليف من تحضر من ابنائهم للقيام بهذه المهمة ، وبناء الدور والقرى لهم وتعميم التعليم الابتدائي الذي يلائم الحياة الريفية ويلائم ضرورة التطور المتدرج الذي لا يصدمهم بما سيكون له رد الفعل السيء . ان المدرسة ستحقق اتساع مشاعرهم القومية. فبدلا من ا نتكون مقتصرة على الولاء للقبيلة فانها تشمل العناية بمشاكل المجتمع العربي وستندمج وتتبلور في المجتمعات العربية نفسها . بالاضافة الى ان المدرسة ستحاول ان تفهمهم حاجاتهم الضرورية للانسان وعدم الوقوف عند الاعمال البسيطة التي يقومون بها حيث لا تنوع فيها ولا تغيير .

ان التوطين يقتضي العناية بالارض التي ستوزع عليهم كما تقدم لحفر الآبار الارتوازية وتقديم الخدمات الزراعية والصحية والاجتماعية لهم في حياتهم المستقرة الجديدة ويستتبع ذلك ضرورة العناية بالصناعة بالقدر الذي له علاقة بتوطينهم وبالامكانيات التي يمكن ان يتحملوها في توطينهم الصناعي الذي يكمل توطينهم الزراعي . وكذلك يستتبع الاهتمام بالرعي ، فالبدو بطبيعتهم رعاة او معنيون بالرعي اكثر من اهل الحضر . والرعي في حدود تربية الماشية والدواجن والاستفادة من منتجاتها بصورة اولية وبصورة صناعية انما هو داخل في الواقع في كيان

● من ابحاث « المؤتمر الاول للخريجين » في بيروت الذي عقده « مركز تنمية المجتمع في العالم العربي » — سرس الليان .

التوطين وليس بعيدا عنه بل هو – في تلك الحدود – انما يساعد كثيرا على الادماج ومحبة الارض أي انه ينبغي ان يسلك في الادماج ما يقتضي من رعاية حرفة الرعي والعناية بالارض الخضراء الصالحة لها والاهتمام بترقية الصناعات الاولية – مهما كانت محدودة وبسيطة في البداية – وحرفة الرعي لا تتطلب التجوال ما دامت المناطق القريبة بالنسبة للبدوي تحفل دائما بالقوت له ولعياله ولحيواناته ، عند ذلك سيجد نفسه مرغما على الاستقرار وبناء بيته الخاص وتحسين منطقته والعمل على رفع مستواها .

ولما كانت الصحراء في جميع الانحاء واحدة والبدو في مختلف البلاد العربية من منبع واحد وبأخلاق وعادات تكاد تكون واحدة تقريبا ، فان هذا التشابه يدعو في الحقيقة الى توحيد الجهود المبذولة – او التي ينبغي ان تبذل بصورة جدية في سبيل الادماج . ولكن ذلك في الواقع ربما يكون في الوقت الحاضر متعذرا لان كل حكومة تقوم ببرامج خاصة بها . ويقع مشروع توطين البدو في مرحلة لا يقع في المرحلة المشابهة لها من مشاريع البلد الاخر . وعلى هذا يمكن ان تقنع في الوقت الحاضر بالتعاون عن طريق عقد المؤتمرات وبحث الامكانيات ورسم الخطط وتبادل الاراء والمقترحات مما له فائدة كبرى لتحقيق مشروع الادماج المطلوب ، ومعرفة الصعوبات التي تقوم في وجهه فضلا عن ذلك النشاط والاهتمام الذي سيملأ الحقل الاجتماعي فتبقى مشكلة التوطين ماثلة في الاذهان مما يحفز ذوي القابليات على بذل جهودهم في هذا المجال والاستمرار فيه . قلت في كتابي « البدو والقبائل الرحالة في العراق » الذي صدر عام ١٩٥٦ :

ان عملية توطين وتحضير العشائر الرحالة واسكانهم وتحسين حالتهم انما هي عملية صعبة تحتاج الى تضافر الجهود وقيام اغلب مؤسسات الدولة بالمساهمة فيها ، وانها ليست من العمليات السهلة التي تقوم بها وزارة من الوزارات او مؤسسة واحدة من المؤسسات بامكانياتها المحدودة وميزانيتها القاصرة ، فهي فوق مستوى هذه الامكانيات ولو قامت تلك المؤسسة بصرف مجموع ميزانيتها لما خرجت من هذه العملية الا بنجاح ضئيل لا يتجاوز امكانية توطين بضعة افخاذ من عشيرة واحدة وحفر عشر آبار ارتوازية وتاسيس بعض المؤسسات العامة بينما العدد يبلغ عشرات الالوف من افراد العشائر . فالامر اذن يتطلب توحيد وتنسيق هذه الجهود وتوزيع العمل على قسم كبير من مؤسسات الدولة ومرافقها ذات العلاقة المباشرة او غير المباشرة بهذا المشروع .

وهذا الذي ذكرته في كتابي ذاك كنت اقصد به ان ما ينطبق على هذه المشكلة في العراق ينطبق على هذه المشكلة في اغلب البلاد العربية في الواقع ، ولا يقتصر على بلد واحد منها . فان عملية الادماج عملية صعبة يجب تضافر الجهود لتحقيقها سواء في الحيز الخاص بكل دولة عربية او في النطاق العام للبلاد العربية جميعا التي يعنيها الامر والتي ينبغي ان تتعاون فيما بينها للوصول الى نتيجة أسرع وانجع في تحقيق ادماج البدو في المجتمع العربي الحديث . والله تعالى هو المعين .

بغداد

مكي جميل

كرامة

وكيف تلوم من لا ترتجيه
لبذل العرف او درء المصاب

ومن شر البلية ان تؤاخي
سقيم الحس متهم الصواب

تقلده الكرامة وهو عنها
صدوف، لا يقيلك من حساب !

ينيلك منطقا عذب الحواشي
وعند الفعل أشأم من غراب !

وملتمس الندا من مدعيه
كمن يرجو الشراب من السراب

وكم هونت من شأن البلايا
وداريت النقيصة بالتغابي !

وما استخلصت فضلا من لئيم
ولا ارهقت خصمي بالعتاب !

وهاأنذا وها هوذا ضميري
عيوفا لا يخالط او يحابي

يطير مع الكرام بكل افق
ويأبى ان يمرغ في التراب

ومن هانت كرامته عليه
يلاحقه الهوان بكل باب !

سمو النفس غاية كل حر
وفي حريتي فصل الخطاب !!

القاهرة

سلامه خاطر

الشجرة في عيدها


فارس سعد

قامت الارض ، منذ قامت ، على ساقي وغنت الحانها فوق عودي
وتهادت مزهوة بقوامي تحت اكليل غاري المعقود
أتلقى بمفرقي قبلة الشمس فتندى على محيا الوجود
أنا خدر الضياء ، أي صباح لم تلده السماء فوق زنودي ؟!
لم يزرني النسيم الا ليشدو ويهز السرير للمولود
ليت شعري، واليوم عيدي، بماذا تحلم الناس ان تزين عيدي ؟
بغصوني زينت أعياد دنياهم وفي عرسها نثرت ورودي
تلك اغصانهم شباب نضير حشدوه ليومي المشهود
كل أم في الارض قد رفعت لي زهرة غضة على أملود
شمخت ايكتي وكور نسور وزهت غابتي خدور أسود
فعقدت اللواء من نضرة الارز ومن نشئه انتقيت جنودي

* * *

يا ابنة الاصل في فم الطير منه وفم الريح كل ذكر حميد
طيب العرق كلما الريح هزت فرعه اهتز للندى والجود
كم مددنا لك الاكف اجتداء ونعمنا بظلك الممدود
انت بين السماء والارض دنيا من عطاء وباسمات وعود
انت تحت السما سماء اليها يلتجي كل متعب وشريد
قرب الله نيلها ، فغنينا عن منال من السماء بعيد
شاخت الارض فانبثقت شبابا من غصون التراب والتجعيد
وتهاديت عنفوان ربيع فوق شيخوخة الثرى المهدود
ما غرسناك في الثرى اذ غرسنا بل ركزنا في الارض بند الخلود
وانتضينا الينبوع دونك سيفا واطحنا بجبهة الجلمود
وفتحنا وعر الربى وملكنا امرة الارض تحت خضر البنود
وقرعنا صم الصفا فدخلنا أرض عدن من بابها المرصود

انت ميراث آدم من ربى عد ن وذكرى فردوسه المفقود

انت رافقته طريدا الى الار ض وخففت من عناء الطريد

كم توارى لديك من وحشة القفز ومن لذع حره والجليد

قد قطعت القفار عن جانبيه وعبرت النجود بعد النجود

وانتهى السير للمدينة ، ماذا هل توقفت عند هذي الحدود ؟

لا وربي ما زلت عن جانبيه وهو يمشي في الشارع المنضود

* * *

بعض خدامك الغمائم والشمس فقولي للزارع المكدود

انت كالماء والاشعة جزء من كياني لا واحد من عبيدي

عبدك الاكبر المقيم على الشاطيء يرغى مزمجرا في القيود

حرم القرب فاستناب نداه باعثا منه بالجواري السود

هز زندي نداك ، لا تسأليني عن عروش هززتها بقصيدي

ان تساقطت بالجنى لا ابالي ان تساقطن باللهى والنقود

اي عرش كعرشك الغض تجري بشناه الرياح خيل بريد

سخري الريح للشذى ، حمليها وابعثيها لكل صقع بعيد

حذريها ان تفتق الكتب في السفح فتعيى عن نشرها في النجود

حمليني رسائل العطر عنها انا ادرى بفغم انف الحسود

واسألي الله كم رسائل وحي من فمي قد اذاعها بنشيدي

* * *

لست في الارض للسيادة ظلا ينحني تحته جبين المسود

ما اشتريت الايواء عندك بالبذل ولا نلت رفعتي بالسجود

كم ظلال في الناس عفت جناها حين مدت اليافها حول جيدي

ها جبيني هل تبصرين عليه أثر الرق او سمات العبيد ؟

شهد الله ما تفيأت ظلا في الثرى غير ظله المعبود

قربيني اليك لا تبعديني بي صفات من طيرك الفريد

* * *

جادك الغيث فاضربي القبة الخضراء في مفرق الدروب وجودي

علميه صمت الندى ، كم تباهى بنداه مجلجلا في الرعود

لك في الارض شيمة الرسل، عفو عن مسيء ومنة لجحود

كم سدلت الستور منك على الجا ني وفي عنقه دم العنقود

ينضح المسك من جراحك للنا س وتندى بالعطر لا بالصديد

واذا ما جرحت ثارت جراحي في انتقامي وعربدت في وعيدي

وانتضيت السلاح للثأر ، فظا من كلام او مرهفا من حديد

ليت عرقي كعرقك السمح يشذى حين يؤذى وليت عودك عودي

فارس سعد

اسرار النجاح

بقلم عبد العزيز جادو

* * *

هناك في الغالب كثير من النظريات المختلفة التي تتعلق بمضمون النجاح بقدر ما يوجد في الدنيا من افراد . والنجاح ، مع ذلك ، شيء نسبي في هذا الوجود . فالذي يعتبره احد الاشخاص نجاحا ، يعتبره الاخر فشلا . فان لعنة التقديرات الزائفة ومحنة الاراء الكاذبة ، ليست اكثر وضوحا واكثر صراحة في اي مكان مما هي في هذه الحياة . فالجمهور يسيء الفهم بين المتغير ، الزائل ، الفاني ، وبين المستقر الثابت ، الدائم . انه لا يفرّق بين الوسيلة للغاية ، وبين الغاية ذاتها . يغشي البريق الزائف بصره فيخال البهرج الكاذب ذهبا نضارا . ويتشبث بالقشور دون اللباب .

ومجرد امتلاك المال لا يعني بحال من الاحوال ، ان الفرد في حياته ناجح . ومع ان الصورة التي تسحر بها كلمة « النجاح » الشخص المتوسط وتستميله اليها هي المال ، فهناك الاف من الناس ذوو ثروة مادية وفيرة في حال من الفشل يرثى لها . انهم في اغلب الاحيان وحيدون، وعن الناس منقطعون ، يائسون ، قانطون . والبخيل قد يكون لديه مال كثير ، ولكن ليس هنا اي بخيل نال قسطا من النجاح ضئيلا .

فالمال وسيلة الى النجاح ، اذا استعمل بحكمة وتدبر. وحيازته يجب الا تزدرى او يستخف بها ، فهو يمثل القوة والقدرة ، ويدفع في الغالب الى التيقظ ، ويعبّر عادة عن النشاط والهمة في كثير من المهن الدقيقة والاعمال الخاصة . وليس من شك في ان اقتناءه واستعماله بحكمة وتعقل يمكن ان يسهّل بدرجة عظيمة البحث عن السعادة والنجاح . ولكن المال هنا وسيلة الى تلك الغاية وليس الغاية نفسها .

والشهرة ايضا لا تتشابه في المعنى مع النجاح . فكثير من الناس ينفقون كل حياتهم في كفاح مرير وفي نضال عنيف للحصول على الشهرة ، فلا يجدون من هتافات العامة ، وصيحات استحسان الدهماء الا عدم الشعور بالرضا وعدم الاحساس بالغبطة .. فالشهرة شيء من باب التحايل . وانها لغرارة خداعة ، لا امان لها . فهي اليوم غير ما ستكونه غدا .. هي اليوم هنا ، وغدا تفتقدها فلا تجدها . والغوغاء المذبذبون ، متقلبو الراي ، يرفعون أبطالهم اليوم الى ابراج الرضا وقباب القبول ، ليطوحوا بهم غدا الى هوة النسيان السحيقة اذا خطرة وهم خطرت، او سورة خاطر بدرت يهتفون اليوم هتافات الاستحسان، وغدا يصفرون باستهجان ، ثم لا يلبث ان يسدل عليه في شهور قلائل ستار النسيان . هذه هي مأساة التجربة المريرة التي عاناها كل من اصطلى بضع لحظات قصار بأشعة شمس التقدير السوقي الرخيص .

تقلبات الشهرة

لقد كان ولنجتون ، بطل موقعة ووترلو ، يحتفظ الى يوم مماته بخوذته المحطمة بالحجارة التي كان يقذفه بها الشعب الثائر في لندن بعد مرور مدة قصيرة على استقباله استقبالا يليق بمكانة منتصر على نابليون ومنقذ للحضارة والعمران .

وجثمان الاسكندر الاكبر ، ظل ملقى اكثر من ثلاثين يوما بعد موته دون ان يتطوع احد لوضعه في قبر يليق به .

ويوليوس قيصر ، حكم العالم يوما ، وصرعه في اليوم التالي اصدقاء كنودون ، وللجميل ناكرون .

وغير هؤلاء كثيرون ..

ليس ثمة الا معيار واحد ثابت للنجاح ـ هو العمل الفذ لتكوين شخصية كاملة متكاملة ، منسقة متسقة ، قوية سوية ، تكون فيها : قوة يضرب بها المثل ، وحكمة مدخرة، عزيزة مقدسة ، وتوازن يصون لصاحبه هدوءه ووقاره ، ويحفظ له سكينته ورخاء باله وسط عواصف الحياة الهوجاء ، وقدرة على ضبط النفس تجعل الحياة اقرب الى اللاهوت ، وتحاسس وتآلف يصبغ الايام باللطف ، ويخضب اكفها بالانس والايناس والرقة ، وحب يملأ الحياة بالدفء وشذى الربيع والسعادة الابدية .

ان اولئك الذين ينجحون في تحقيق هذه الصورة يكوّنون من انفسهم جماعة روحانية في عالم صوفي ، طاهر ، مقدس . ومع ان عددهم سيكون قليلا لا يذكر ولا يعتد به ، الا ان تأثيرهم ونفوذهم سينتشر الى ابعد حدود الانتشار . لانهم سلالة من النوع الاسمى ، وانهم لاشباه آلهة ! انهم يجلون الحياة ويجلّونها ، وانهم ليقودون افراد الشعب الى أعلى مرتفعات السمو والرفعة ، وجودهم معنا او على الاقل قربهم منا فيه خير وبركة ، ان لمساتهم تحول كل شيء الى موسيقى وابتهاج ، وضياء وذهب . انهم يوقدون النور في محراب الايمان ، هم مخلّصو العالم ومنقذوه ، هم الحراس الذين يتقدموننا للبحث عن الخير، هم ساكنو التخوم عند افق الامل البعيد ، انهم المحسنون، الخيّرون ، المتصدقون ، الذين هم للمجاهدين والمكافحين اشبه بظل صخرة شماء في ارض صلدة جرداء، يستريحون اليها وبظلها يتفيئون ..

النجاح الذي يشرّف الحياة ، ويرفع قدرها ويمجدها يرتكز على مبادىء معينة الحدود ، واضحة المعالم :

١ ـ الاسس الفيزيقية يجب الا نتغاضى عنها ولا نغفلها.

فمن الناس من يتوهم — خطأ — ان النجاح زيادة في الصحة ، ومظهر لاصطخاب كريات الدم الحمراء ، وسهولة في الهضم . وهذا في النادر ما يكون صحيحا . فلقد عرف اكثرنا اشخاصا لا يعتد بهم ، ولا اهمية لهم اطلاقا يعيشون في اتم صحة واوفر عافية . ومع ذلك فالمميزات الجوهرية الاخرى للنجاح اذا أعطيت لرجل ذي بنيان متين وصحة موفورة سيصل حتما الى الهدف بسرعة فائقة .

اذن فلتلاحظ بعناية فائقة قوانين الصحة من الناحية البدنية والعقلية . واستعمل طاقة الرئة كلها بقدر ما تستطيع في التنفس الشعوري الفائي . كن حريصا اشد الحرص على ضمان التخلص من فضول الجسم . ولاحظ قواعد التغذية المنظمة . مارس التمرينات الرياضية كل يوم بانتظام وبرغبة اكيدة لتكسب جسما صحيحا . تعلم كيف تسترخي ، وكيف تنقذ جسمك من مجهود التوتر المدمّر . ثم لاحظ قوانين الصحة من الوجهة العقلية . فكّر في الصحة بدل المرض ، وفي القوة بدل الضعف ، واضبط العواطف السلبية كالخوف والقلق والكآبة والغم وانقباض النفس والغضب . وستكون الصحة هي مكافأتك التي ستنالها جزاء ما بذلت من مجهود .

٢ — المبدا الثاني للنجاح هو ان تفكر تفكيرا صحيحا ، وتكون على وفاق تام مع قانون العلة . تعلم كيف تفكر تفكيرا مستقيما متزنا ، لا تفكيرا عاطفيا ملتويا . يقول هربرت هبارد : « أن التفكير هو ارقى الاشياء . وان تفكر تفكيرا صحيحا بأن تخلق وتبتكر . فكل الاشياء تأتي عن رغبة ، وكل صلاة مستجابة تكون عن حماس . أننا نصبح بتفكيرنا ذلك الشيء الذي نحلم به ونشتهيه » .

اجعل حياتك الشخصية تسير على طريق معقولة رشيدة . ولا تكن من المستبطنين الذين يفحصون عن بواطن الاشياء . دع اهتماماتك يغلب عليها طابع الخير للغير ، بعيدة كل البعد عن الانانية وحب الذات . استعمل الطريقة الاستقرائية في التفكير والتعليل من المعلوم الى المجهول على اساس من مبدأ الواقع . ولا تفترض الاشياء، ولا تقبل المبادىء المضمرة ، والاستنتاجات التي لا يقوم عليها دليل .

٣ — احكم عواطفك السلبية . ولا تجعلها تتحكم فيك، او تتسلط عليك . فليس النجاح خليقا الا بالرجل الذي يستطيع ان يسود نفسه . اما الذين يستسلمون للخوف والقلق ، ويستكينون للكآبة والغضب ، ويذعنون للحقد والغيرة ، ليسوا سادة بل عبيدا اذلاء . اجعل حياتك العاطفية في حد المعقول . انقل انتباهك الى ميول واهتمامات بناءة معمرة . كن بشوشا ، مرحا ، فكها ، خفيف الروح . حوّل طاقاتك . ابدل عواطفك السلبية بأخرى ايجابية .. كن عظيما ، رفيعا ، ساميا في عالمك الذاتي .. رتّب بيتك العاطفي واعتن بتنظيمه وتنسيقه.

درب ادراكاتك

٤ — رقّ قوة ملاحظاتك وحسّنها .. تبصّر واهتم بما عجز الاخرون عن التبصّر فيه والاهتمام به . راجع وافحص ما أخفق الاخرون في ادراكه او معاينته او الاحساس به . املأ لا شعورك بثروة من الاحساس بادراك : الشكل واللون والصوت والحركة . عش في دنيا الملاحظة الواسعة الخصيبة ذات الثراء الغزير .. ادرس الاشياء باسهاب : كالمباني ، والاشجار ، والازهار، والجبال ، والمحيطات ، والانهار ، والناس ، والحيوانات وغيرها . ان دراسة دقيقة لمعظم الاشياء المألوفة لك كأوراق الشجر والازهار والاحجار مما تراه على جانبي الطريق في اثناء سيرك سيفيدك فائدة عظيمة .

انما الادراك هو اساس كل تحصيل ناجح ، ودعامة كل عمل عظيم ، سواء كان في الصناعة او الابتكار او الاختراع او الفن او العلوم او الاداب .

٥ — كما ان التخيل يلعب دورا رئيسيا هاما في تحصيل النجاح . فعليك ان تواظب على تحسين ملكة التخيل بالتمرين الدائم . اغلق عينيك وارسم صورا واشكالا ذهنية صحيحة . انظر الى الاشياء نظرة من يرى فيها صلات او علاقات جديدة . (١)

التخيل هو الذي يميز بين الانسان والحيوان . ويفرّق بين حياة الخمول والبلادة ، وبين حياة التحصيل الخالق المبدع الطامح المتطلع الى اعلى . بل هو روح العطف والود والانجذاب الى مشاركة الغير في حالته ، والى حب الخير .

وانت ينبغي الك ان تتخيل نفسك في مكان زميلك لكي تحاسسه (٢) وتعطف عليه ، وتعامله بما يستحق حتى يعاملك بالمثل . « كل شيء تحب ان يفعله الناس لك ، فافعله لهم : هذا هو القانون والانبياء » (٣)

٦ — يعتمد النجاح ايضا على تمرين سار بهيج للجهد المبدع الخلاق . فمن ابتغى نجاحا فعليه أن يرضى كل الرضا عن عمله ، وان يرى فيه ترضية ايجابية ، وغبطة وسرورا . ونحن بانجازنا الواجب اليومي على انه طرفة من طرائفنا نجعل من العمل التافه آية كبرى ، ومن الواجب العادي ترنيمة عذبة ، وتسبيحة ملائكية .

ادخل التخيل والحماس في عملك . وابعث فيه روح الحمية . ابحث عن لذتك العميقة وسرورك العظيم في الهمة الخالقة ، وفي النشاط المبدع . كن بين صانعي ومهندسي وبنائي الغد الذي لم يولد بعد . ولا تخف من البدء في الخلق والانشاء .

ان العبيد وحدهم هم الذين ينجزون واجباتهم بغير تفكير او انتباه لما يعملون ، كما كان حال الملايين من قبلهم .

---

(١) أفردنا فصلا خاصا بالتخيل في كتابنا « لكي تكون سعيدا » بسلسلة « اقرأ » رقم ٢١٧ فليرجع اليه من يشاء . (٢) المحاسسة : المشاركة الوجدانية . (٣) انجيل متى ٧ : ١٢ .

أما النفوس الكبيرة فهي وحدها التي تجد لعمل الاشياء سبلا اسهل واسرع واكثر فعالية واعظم نجاحا . وهي وحدها التي تنير دروبا جديدة . وهي التي تحتفل بافتتاح نظم وتدابير ومشروعات جديدة .

٧ – في الوقت الذي يقوم الرجل الناجح بانجاز عمله اليومي على خير وجه يكون واضعا عينيه على الهدف . ومعظم الذين صنعوا التاريخ كانوا يحلمون في الوقت الذي كانوا فيه يعملون . فانظر الى نفسك بعين خيالك كأنك تعمل الشيء العظيم الذي تود لو ان تقوم بعمله حقيقة . واجعل كل واجب عادي تم انجازه بأمانة تحضيرا لهدفك الحقيقي في الحياة . راقب الذروة وضعها نصب عينيك. ثبت رؤيتك الرائعة على نجم في سماء الامل متألق ثابت.

٨ – انتفع بقواك اللاشعورية . فمنابع النجاح تكمن فيها . واعلم أن كنت لا تعلم – ان اولئك الذين يتحدثون دائما عن « النبوغ والعبقرية الهاجعة في داخلنا » لا يعيشون في الاوهام . فلقد اكد العالم النفسي المشهور، ولفريد لاي ، اننا جميعا في اللاشعور سواء . والنابغة او العبقري يختلف اختلافا بيّنا عن الفاشل في ان هذا الاخير مفلس من الموارد اللاشعورية للقدرة .

كن صادقا مع نفسك

٩ – الاخلاص .. هذا هو الاساس . وبغير هذا العنصر الاساسي والمبدا الجوهري النادر تنعدم الثقة ، ويكون الخطر وعدم الامان .

اذا كان المظهر او المنظر ينبىء عن المخبر ، واذا كان الناس بسيماهم تعرف نواياهم ، كذلك ذات الرجل الحقيقية تدوي وتصلصل في صوته ، وتبدو من خلال عينيه ، وتطبع نفسها على وجهه وسلوكه وهيئته وموقفه واتجاهه، وتبين واضحة في كل ما يفعل ويقول . اما قيمة الاخلاص فلا تقدر بثمن .

انك ربما لا تقبل فكَر الاخرين ولا توافق عليها ، ولكن مهما تكن مجموعة المبادىء التي تختارها لنفسك دستورا ، خفيا مستورا ، فكن صادقا معها ، مؤمنا بها ، واثقا فيها. واجعلها لك قدوة حسنة تقتدي بها ، ومثلا طيبا تحتذيه.

١٠ – ثق بنفسك . اننا يجب الا نخدع او نغش انفسنا. ويجب ان نثق بأنفسنا ، والا فكيف يمكن ان ننتظر او نؤمل ان يثق غيرنا بنا ؟ .. ان قدرا معقولا من الثقة بالنفس من الزم اللزوميات ، بل انها ضرورة لا غنى عنها اطلاقا .

تخلص من كل أثر الشعور بالنقص . واعتبر نفسك على اقل تقدير مساويا لاي شخص اخر . واجه الحياة بشجاعة وثبات ورزانة .. والاخلاص كفيل بجعلك محبوبا من الجميع .

اذا وقفت أمام شخص قل لنفسك : « انني لست أقل منك شأنا ، انك لا تزيد عني في شيء » . أما اذا احسست بنقص او دونية سواء في شعورك الداخلي او في تصرفك وسلوكك الخارجي فأنت لا محالة هالك مضيع .

١١ – ليس ثمة كالحماس شيء يميز بوضوح الشخص الناجح .. فحين يكون الفرد متحمسا ، يسطع في وجهه ضياء ، ويشع من عينيه بريق ، وتتدفق من صوته اهتزازات بها سحر يخلب الالباب . وهو من ثم لا بد ملفت النظر والانتباه اليه . تجتذب شخصيته القلوب والافئدة . وتحمل كلماته الاقناع ، فتحمل الغير على الاقتناع .

تعلم كيف تتكلم بوجهك . وكيف تجعل تقاطيع وجهك تعبّر عما بنفسك ، وتسجل افكارك حتى لتجذب الاصم اليك . فالرجل الذي لا يغير اسلوبه في التعبير او الكلام قلما يصل الى الكثير .. حتى مباريات كرة القدم اذا كان ينقصها الحماس والحمية لا تعدو ان تكون عملا ميتا لا حسّ فيه ولا روح .

١٢ – اصنع المعروف وردّ الجميل لاصحابه اذا اردت ان تكون ناجحا موفقا . هذا هو القانون الاسمى في الحياة .

كن محسنا ، جوادا ، كريما ، وضع نفسك في قائمة خدام الانسانية العظام ، الامناء ، وسدنتها الاوفياء. هذا هو السبيل الوحيد لثبات النجاح واستمراره . « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره »

ولم أجد الانسان الا ابن سعيه — فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

اجعل الالفة والمعاشرة ديْنا عليك مستحق السداد . عندئذ ستجد مكانك حتما بين الخالدين .

ابن لنفسك شخصية فردية ذات نفوذ وذات سيادة كي يكون في ميسورك خدمة الاخرين . ولا تنتظر ردا او مقابلا لما عملت او اسديت ، فلا حاجة بك الى الانتظار. لان كل شيء مرهون بوقته . وقانون التعويض كفيل بالاهتمام بالامر .

كن مسرفا في الخدمات الودية الخالصة لزملائك . واجعل حياة الاخرين اكثر خصبا واثمارا ، واوفر حلاوة وعذوبة ، واعظم سعادة وهناءة .

ولا خير فيمن ظل يبغي لنفسه — من الخير ما لا يبتغي لاخيه

اسع في كل غداة الى اطعام جائع ذي مسغبة ، او مسكين ذي متربة ، وادخال السرور على بائس مكتئب ، وبث الامن والسكينة في قلب خائف خامد الهمة ، وبعث الامل في قلب غريب ضل طريق الحياة .

هذا هو قانون الخدمة الخيرية ، والتكافل الاجتماعي..

وهذه هي المبادىء الانسانية التي نصت عليها جميع الديانات السماوية ...

وهذا هو السبيل القويم الى النجاح .

الاسكندرية — **عبد العزيز جادو**



العام الجديد

***

كيف انضو في العمر اثوابَ عامي　　　وشهوري لم تُبْلِهـا ايامي

لا أريد المعادَ من مطلع الشمس اذا شارف الغُروب أمامي

حملتني الى الحيـاة رياحٌ　　　سافيـاتُ المصيرِ بالأقوامِ

فنسجتُ الأَصباحَ عبْر الأَماسي　　　مثلَ نبتٍ قد أطلعته الموامي

يا أحبَّـاي أينَ مِنِّي وجوهٌ　　　عوَّدتني تحنانَهـا بابتسامِ

في مَسارِ الإنسانِ ألف طريق　　　مَنْ دليلي الى سبيل المَرامِ

أيها العامُ هل حسرت قِناعـاً　　　لأَرى الوجْه منكَ خلف اللثامِ

ما غدٌ ؟ ألفُ سـائلٍ يتمنَّى　　　أنْ يراه مَشَفَّ الظـلامِ

ملأَ الارضَ عامُنا بالضحايا　　　وانغماس العُتـاة في الآثامِ

وتلظَّتْ عليـه أحرارُ قومٍ　　　ما ابتَلَعوا فيه غير خَفْرِ الذِّمامِ

يا شعوبَ الفِداء آنَ لك النصرُ وقد عزَّ في اندحار الأَنامِ

كل صِقْعٍ عليه بلوى عراك　　　تشتهي طلـوع صبْح السَّلامِ

شغلَ البيضُ في مقـاتلة الود وما الذنبُ عند أولادِ حام

فاغسلي عامنا الجديدَ أيا أقدارُ في مُسْتَحَمٍّ مـاءِ الوِئامِ

وانْضحيه بالعِطْرِ مثل حِسانٍ　　　ضمَّخَتْها وصيفةُ الحَمَّـامِ

كانَ قَحْطُ النفوس أفدحَ للروح　　　فجودي مـن ماطرٍ بانسجامِ

علَّ وَرْداً يطفو على الروض محمَّراً بديلاً من الربوع الدوامي

جددي لي فيه الاماني فحسبي　　　ما تحملتُ من خطوبٍ جِسامِ

واملئي في المَلاَ بشائر شمسٍ　　　أشرقت في الدُّنى من الأَحلامِ

دمشـق　　　**زكي المحاسني**

تدريب القادة المحليين في البلاد العربية

بقلم الدكتور منير خوري

الاستاذ بالجامعة الامريكية في بيروت

* * *

نحن في هذا المؤتمر من أجل البحث في مشكلة، هي في رأيي ، من اهم المشاكل التي تواجهها حياتنا الاجتماعية اليوم . لدينا رجل مريض يحتاج الى معالجة ، ومعالجته تحتاج الى كثير من الدقة في التشخيص ، نظرا لما يظهر على هذا الرجل من الاعراض المرضية المختلفة المتناقضة. فهو بينما يتضور جوعا ، يجد بين يديه مفاتيح ثروة طائلة، ولكنه لا يحسن التصرف بها . وهو بينما يئن من الالم ويشكو من الضعف ، يرى أن البيئة التي يعيش فيها هي ابدا ودوما ذات امكانيات وافرة للصحة والرفاهية ، ولكنها غير فاعلة . هو متخلف اشواطا بعيدة عن الركب الحضاري، بينما يحمل في قرارة نفسه اخصب البذور الحضارية الاصيلة .

ان نظرة عابرة يلقيها المرء على سكان الشرق العربي ، تنبئنا عن حقيقة واقع هذا الرجل المريض الذي نجتمع من اجله ، واجل صحته في هذا المؤتمر . نظرة تظهر لنا بوضوح كلي تلك الفوارق التي تقوم بين القرية ، مسقط رأس هذا المريض ، حيث الجهل والفقر والمرض ، وبين المدينة حيث المدارس والمستشفيات والثراء . هذه الفوارق بين المتحدين ، بل هذه الهوة السحيقة بين القرية والمدينة ، هي من اهم اسباب تأخرنا واخفاقنا اذ تطبع هذه المناطق الريفية بطابع الانعزال والانحطاط ، فتنطوي على نفسها حتى تفقد في كثير من الاحيان احساسها الايجابي الصادق في وجودها وقيم حياتها وجدارتها بالنهوض والتقدم والحياة . هذا التقدم الذي يشع حولها بينما هي تعيش في ظلام دامس تعجز فيه عن اكتشاف نفسها وتحقيق امكانياتها . انه التقدم السريع الذي احرزه الانسان في شتى ميادين المعرفة حتى اصبحنا نعيش لا ني عصر النور والذرة فحسب ، بل في عصر اكتشاف مجاهل الفضاء وفض أسرار الكون . في هذا العصر بالذات ، اين نجد قرانا وأريافنا ؟ وأين هي من هذا التقدم والرقي وسعة العيش التي نلمسها وان جزئيا في حواضرنا؟

مما لا شك فيه ان حالة الريف لم تعد خافية على المسئولين في البلدان العربية وان كنا لم نزل في اول الطريق . فقد تبينت لهؤلاء سعة الهوة التي تفصل هذه المتحدات الصغيرة عن المجتمع الاكبر الذي هي منه . وهكذا برزت في ميدان الاصلاح الريفي فئات متعددة تعمل لرفع مستوى الريف ، والنهوض به الى المستوى اللائق المنشود ، فتتوازى جميع القوى الاجتماعية وتسود العدالة ويعم التقدم والازدهار في المجتمع وفي جميع مرافق حياته . غير ان هذه النهضة المباركة التي نرى طلائعها ، لم تزل على المستوى العاطفي المنفلت ، مما لا يمكن ان يؤدي الغاية المرجوة منها . فعملية النهوض بالريف ، شأنها شأن كل عملية نهوض اخرى ، لا تتم بمجرد الشفقة والاحساس ومعسول الكلام ، بل ذلك ما يجب ان يترجم الى ممارسة عملية تطبيقية مستندة الى قواعد علمية متينة ، تبشر بنتائج علمية مفيدة يرى فيها القرويون سعادتهم واستقرارهم ورفاهيتهم . اما وهذا لم يحصل بعد على وجهه الاكمل فاننا نرى ان القائمين على عملية الاصلاح الريفي ينقسمون الى قسمين : فئة تعمل بدافع العاطفة والشفقة والاحسان ، وفئة اخرى لم تزل لسوء الحظ ، اقلية ضئيلة ، ولكنها الفئة التي اريد ان اسميها فئة الاطباء الاجتماعيين . الفئة الاولى تحس بفقر الريف وحاجته وتأخره ، وتعمل من اجل النهوض به ، ولكنها رغم ذلك تحس في قرارة نفسها بأن في عملها هذا انما تدفع الى اهله منة واحسانا لا حقا من حقوق حياتهم وجدارتهم بالحياة . ومع عظيم تقديري لهذه الفئة من الناس ، فانني اعتقد انها قد تكون على قسط وافر من صفاء النفس ونبل المقصد ، ولكن صفاءها ونبلها لم يكتملا بعد الى مرحلة المعرفة والعلم ، ولن يسفرا عن فائدة في هذا المجال . فالقضية ليست قضية شفقة واحسان ، بل قضية حق وجدارة واستحقاق ، يعزز ذلك دافع انساني اقوى يدفع بالمصلح الى اغناء نفوس مرضاه قبل اغناء جيوبهم ، بينما الشفقة تزيد في تخاذلهم واستعبادهم وتقتل روح العزة والاباء في نفوسهم واما الفئة الثانية فهي الفئة التي تلم بدقائق الامور وتنظر الى الحياة الريفية نظرة علمية صافية ، فتدرس تركيبها ووظائفها درسا عميقا مسئولا فلا ترتجل ولا تتفعل ، بل تبني اعمالها على اسس

● من ابحاث « المؤتمر الاول للخريجين » في بيروت الذي عقده « مركز تنمية المجتمع في العالم العربي » ــ سرس الليان .

علمية سليمة منطلقة من ايمان عميق بحق هؤلاء الريفيين بالحياة الكريمة وقدرتهم الفائقة على النمو والتقدم .

وقد يحق لنا الان ان نتساءل عن الاسباب التي تدعونا الى مثل هذه الشدة من الاهتمام بأريافنا . والجواب على هذا السؤال ينبع من حقائق ثلاثة على الاقل .

الحقيقة الاولى : هي ان عدد سكان الارياف في العالم العربي يشكل نسبا تتراوح بين ٧٠ و٨٥ ٪ من مجموع السكان . ولا يمكن الاستهانة بهذه النسبة العالية ، كطاقة بشرية كبرى ، ولا يجوز اهمالها كما اهملت من قبل ولا تزال مهملة منذ آلاف السنين .

الحقيقة الثانية : هي ان اهل الريف هم عماد الثروة القومية عندنا ومصدر الانتاج الحقيقي . ولا اشك بموافقتكم معي اذا قلت ان البيضة التي تضعها الدجاجة في القرية هي اهم بالنسبة الى الدخل القومي العام من اكبر الابنية في اكبر المدن من بلادنا . اقول ان اهل الريف هم عماد الثروة القومية لان انتاجهم يأتي من الطبيعة مباشرة عكس التجارة والصناعة اللتين يأتي انتاجهما مداورة وبطريقة غير مباشرة . يقول ابن خلدون « فالزراعة متقدمة على الصناعة والتجارة لانها بسيطة طبيعية فطرية بخلاف تجارة اهل الحضر التي تحتاج الى تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع . »

والحقيقة الثالثة : وهي في نظري اهم من الحقيقتين السابقتين ، واعني بها بقاء اهل الريف على اصالتهم وتمسكم بتراثهم فهم يحملون في نفوسهم الحضارة الاصيلة ويحتفظون بروحيتها الفاعلة . ولا امل لأمة بالنهوض والتقدم ان هي اهملت جذورها الحضارية وانقادت وراء حضارات غريبة عنها لا تعبر عن شخصيتها وآمالها واهدافها الكبرى في الحياة . لا يمكن ان يضطرد التقدم والنمو بدون اساس . ولا يمكن ان يحصل الخلق والابداع في فراغ وبغير جذور . لقد تعرضت مدننا ولم تزل تتعرض لغزوات غريبة عنيفة خارجة عن نفسيتها وتراثها . فافقدتها هذه الغزوات طابعها الحضاري الخاص وطغت عليها ، فاخلت بتوازنها وعطلت قيمها ولونتها بألوان عديدة ضاع بينها اللون الاصلي لنا . وقد عبر عن ذلك الدكتور البرت حوراني في كتابه « سوريا ولبنان » بما اطلق عليه اسم (الليفنتيني) . الليفنتيني هو الشخص الذي تتقاذفه حضارات مختلفة ومتعددة دون ان ينتمي الى واحدة منها ، ويتجلى ذلك في ابناء المدينة لا في ابناء الريف حيث اصبحت الحياة في المدينة بدون جذور ، تهب عليها انواء حضارات اخرى وتطغى عليها الوان متعددة من الثقافات دون ان يكون لها من نفسها ضمان وقاعدة تقبل على ضوئها ما تقبل وترفض ما ترفض . واما القرية فهي غير ذلك رغم فقرها وجهلها واخذها بكثير من التقاليد المتحجرة البالية ، فهي لم تزل على قسط وافر من جذورها الحضارية الممتدة في حياة ابنائها المتشعبة في كل اعمالهم وتصرفاتهم وبما يفعلون . واسمحوا لي ان اقولها بصراحة انه ان لم يستمد عالمنا العربي نهضته من جذوره الحضارية في الريف ويستوحي قيم هذه النهضة من قيم تلك الحضارة وعاداتها وتراثها واخلاقها فانه سيبقى علة على غيره ، متطفلا على سواه من الدول والمجتمعات ضائعا بين امواج الحضارات التي تتقاذفه مفتشا عن حقيقته وشخصيته دون ان يجدهما . ان مجتمعا كهذا يتقن صناعة التقليد والتزييف ولكنه يفتقر الى قوة الخلق والابداع ، ونحن اذا ما بقينا نتقمص شخصية غير شخصيتنا وننجرف وراء تقاليد ومعتقدات غير تقاليدنا ومعتقداتنا فاننا لا بد فاقدون طابعنا الذي يميزنا عن غيرنا من الامم ، مفتشون عن حقيقتنا دون ان نجدها . وهذا ما يقود الى الانحلال فالاضمحلال لان من فقد حقيقته وشخصيته وفعاليته فقد حياته . والتاريخ مملوء بالشواهد البينة على ذلك ، فكثيرا ما ادى التراخي الاجتماعي والتنازل الكلي عن حقيقة الطابع الاجتماعي الخاص للامة الى الضعف والانحلال وتقطيع اعصاب الحياة الاجتماعية التي تشد المجتمع المعني بعضه الى بعض واخيرا الى طمس ذلك المجتمع ومحوه نهائيا من الوجود .

بعد عرض هذه الحقائق الثلاث عن ريفنا العربي ، وكيف انه يمثل الاكثرية العددية الساحقة والقوة الانتاجية الحقيقية والحضارة الاصيلة التي لا بد من الاعتماد عليها لتقدم وتطور وبناء اي مجتمع من المجتمعات ، بعد عرض هذه الحقائق ننتقل الى صلب الموضوع ونبحث في مهمة تدريب القادة المحليين الذين يأخذون على عاتقهم رفع مستوى الفلاح ، والنهوض به الى المرتبة التي يستطيع عندها ان يفجر طاقاته العددية وامكانياته الانتاجية والحضارية .

ان مهمة قادة الاصلاح الريفي هي في الاساس بمثابة صلة الوصل بين طرفين . فالهوة التي تفصل المتحدات الصغيرة عن المجتمع الاكمل كبيرة . ذلك ان المقومات التي يرتكز عليها كل من المتحدات من جهة والمجتمع من جهة اخرى مختلفة ومتباعدة لدرجة جعلت قريتنا في واد ومدينتنا في واد آخر . الشعب الريفي في واد والدولة في واد . ورغم ذلك ورغم اختلاف الاسباب الكيانية التي تساعد على تباعد الشقة بين المتحد والمجتمع فان المتبصر المدقق يدرك تماما ان هنالك عوامل اخرى عديدة ومشتركة وهذه العوامل هي الاعمق والابقى والاهم التي يجب ان تشجع وتقوى لانها بمثابة الاساس في البناء في اكتمال شخصية الامة وحياتها الاجتماعية الصحيحة ، ولا يجوز لنا ان نهمل حياة المدينة لنعمل من اجل حياة الريف ، كما انه لا يجوز اهمال هذه والعمل من أجل الاخرى فقط .

شرط المصلح ان يدرك العوامل المشتركة بين الاثنين والتي تكون القاسم المشترك في بناء المجتمع ككل على اكمل وجه، فيوجهها ويعمل على تنميتها ليعم خيرها المدينة والقرية

على حد سواء . وهنا لا بد لنا من مواجهة السؤال الاكبر، وهو كيف يكون لنا ذلك وكيف نوفق بين الاثنين ؟ ان عملية النهوض بالريف هي كما قلت سابقا عملية اتصال بين طرفين وهي تحتاج الى دقة ومهارة فائقتين تماما كما تحتاج عملية شق نفق يبدأ به من جانبي جبل ويلتقي الطرفان العاملان فيه في النقطة المرسومة لهما بفضل دقة المهندسين المخططين العلمية وضبط خطوطهم ومقاييسهم ليكون النفق واحدا في الاصل والنتيجة معا .

والان ، وبعد هذا العرض الموجز عن اهمية الريف وخطورة العمل للنهوض به ، يحق لنا ان نسأل من اين نبدأ وكيف ؟ للاجابة على هذا السؤال اقول ان عملية النهوض بالمتحدات المحلية تتطلب اول ما تتطلب دقة في اختيار القادة العاملين في هذا الميدان كما تتطلب براعة في التدريب ايضا . ذلك لان هؤلاء القادة هم اداة الاصلاح ومنفذو برامجه ، وبقدر ما يحسن اختيارهم ووعيهم لرسالتهم بقدر ما يتم نجاح هذه البرامج او تعثرها . وقد علمتنا التجارب والاختبارات الطويلة في هذا الحقل ان هنالك صفات عامة يجب ان يتصف بها كل رائد من رواد الاصلاح الريفي . هذه الصفات التي يجب ان تتوفر في هؤلاء كثيرة أهمها ما يلي :

اولا : ان يكون الرائد قرويا او من القرية المنوي ممارسة الاعمال الاصلاحية فيها بالذات وذلك لكي يتحسس مشاكلها ويتفهم عقليتها ويحسن التصرف مع اهلها .

ثانيا: ان يكون ذا شخصية قوية جذابة توحي الاحترام.

ثالثا : ان يكون ذا بنية قوية سليمة من العلل والامراض نظرا لعظم المسئولية الملقاة على عاتقه خاصة وان مسئولية كهذه فيها الكثير من الكد والجد والمشقة .

رابعا : ان يكون في مرحلة متوسطة من العمر لم تزل روح الشباب فيها نشيطة قوية ، اذ لا يجوز له ان يكون فتى لين العود قليل الخبرة والتجربة كما انه لا يجوز له ان يكون كهلا سرعان ما يتطرق الى نفسه الملل فيفقد روح المثابرة الضرورية لنجاح مهمته .

خامسا : ان يكون له مكانة اجتماعية مرموقة بين اهله ومواطنيه بحيث ينظر اليه اهل الريف نظرة احترام وتقدير لا نظرة استخفاف وتحقير .

سادسا : ان يكون على قسط معتدل من الثقافة فلا يقصر فهمه عن متطلبات العمل الذي نذر نفسه له ولا عن تفهم طبيعة التيارات والمشكلات الاجتماعية التي تحيط به .

هذه هي في نظري الصفات التي يجب ان يتحلى بها مدربونا للعمل في هذا الميدان . وكلما افتقد المدرب صفة من هذه الصفات حلت محلها عقبة في سبيل نجاحه ونجاح مهمته في النهوض بهذه المتحدات المحلية الريفية.

واما السؤال الثاني الذي يجب الاجابة عليه فيتعلق بالطرق التدريبية التي يتلقاها الشخص المرشح اثناء تدريبه . ولقد كثرت الاراء حول هذا الموضوع فمنهم من قال ان القائد المحلي يجب ان يكون ملما كل الالمام في حقل من حقول العلم والاختصاص ، كالزراعة والصحة او التربية او الصناعات المحلية الخفيفة الى ما هنالك من الاعمال الاخرى التي قد تتطلبها الحياة الريفية وتحتاج اليها . ومنهم من ينفي قصة الاختصاص هذه . بل هي في نظره تضر اكثر مما تنفع لان عملية النهوض بالريف لا تستدعي الاهتمام بناحية معينة من الحياة دون الاخرى، بل بجميع النواحي على الاطلاق ولو دون تعمق وتخصص. ثم ان هناك فئة ثالثة ترى ان اهمية القائد المحلي ليست في هذه ولا في تلك ، بل بالمامه في التركيب الاجتماعي ووظائفه وشعوره بمشاكله وتفهمه التيارات الفكرية والنفسية الجارية فيه ووقوفه على عاداته وتقاليده لتصبح مسئوليته بعد ذلك بمثابة المحرك والموجه للقوى الكامنة في ذلك المتحد وتوجيهه التوجيه الايجابي البناء متجنبا الهزات الاجتماعية محافظا على توازن الحياة بين المواطنين واتحادهم الى اقصى حد ممكن . واما الفئة الرابعة ، وهي التي تمثل الراي العام حول هذا الموضوع على ما اظن ، فتقول ان القائد يجب ان تتوفر لديه المقدرة على ادراك الحقول الثلاثة المذكورة بالشكل التالي :

اولا : يجب ان يكون ذا دراية شاملة بشئون الريف ملما بقسط وافر من الزراعة والاقتصاد وعلم الاجتماع الريفي والصحة العامة والقواعد الاساسية في التربية وعلم النفس . بكلمة اخرى يجب ان يكون لدى هذا القائد معلومات عامة تمكنه من مساعدة القروي في الشئون الهامة والعامة التي تواجه ابناء القرى في حياتهم اليومية. فليس من السهل ان يتقبل القروي فكرة الاختصاص بمعناها الاكاديمي لان طبيعته وطبيعة حاجاته اليومية تستدعي وجود قائد قادر يتحلى بثقافة عامة تمكنه من سد حاجيات الحياة الريفية ومواجهة واقعها كما هو .

ثانيا : على القائد ان يكون علاوة على ثقافته العامة مختصا في حقل معين اختصاصا مركزا سواء في الزراعة او الصحة العامة او التربية او الصناعات الريفية او التعاونيات العامة او غير ذلك من الموضوعات التي تهم القرويين وتشكل جزءا كبيرا من حياتهم . وكلما تعمق القائد في اختصاصه ساعده ذلك على مواجهة الامور ومعالجتها باحسن الطرق واجدى الاساليب .

ثالثا : وفوق ذلك يجب ان يكون القائد المحلي شبه طبيب او مصلح اجتماعي ، ملما باسرار التركيب الاجتماعي واعيا لحقائقه ووظائفه عالما بنفسية اهله محترما عناصر حضارته ومنابع قيمه ، خبيرا بمصادر قوته ونقاط ضعفه حتى اذا شخص داء ووصف دواء كان على اتم المعرفة بما سيؤول اليه ذلك وما ستكون نتائجه على اهل القرية ومجاري حياتهم . هذا الفهم العميق لطبيعة الحياة الريفية وتشابك خصائصها وعناصرها يجعل من القائد قائدا حقا

يحسب لما يقوم به في عملية الاصلاح الف حساب قبل ان يعمل مبضعه في المتحد الذي يعيش فيه تماما كما يعمل الطبيب الذي يقوم على اجراء عملية جراحية فيحتاط للامر ويهيء جميع الاسباب اللازمة لذلك ، مما يميل بـه الى النجاح ويبعده عن التسرع والارتجال ومواطن الزلل .

اما طريقة التدريب لهؤلاء القادة مما اسميته بالطب الاجتماعي فيمكن ان تتم باتباع احدى الطرق التالية او بها جميعا :

الطريقة الاولى : وهي طريقة عملية محضة اذ يمر المتدرب فيها بمرحلة مسح الحياة الاجتماعية للمتحد الريفي المعني ، فيتعرف من خلال ذلك على حضارة هؤلاء القوم واصول حياتهم ونوع مشاكلهم وحاجاتهم الصحية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية . ولا يتم له ذلك الا باحتكاكه بهم عن طريق زيارته لهم والعيش بينهم ومحادثتهم وايجاد جو ودي بينه وبينهم يكشف فيه الريفي بعد تأكده من اخلاص هذا القائد عن دخيلة نفسه فيرتاح اليه ويتحدث معه كأنه صديق حميم . هذه هي احدى الطرق التي نستطيع ان ندرب بها قادة الريف فتأتي منسجمةمع نظرية التعلمبالاختبار الحسي الملموس.

اما الطريقة الثانية التي تتبعها بعض مؤسسات التدريب في هذا المجال فهي طريقة اعداد المتدربين عن طريق محاضرات في المفاهيم الاجتماعية تناقش فيها مواضيع مختلفة ومتعددة تتعلق بخدمة الجماعة كالقيادة والتركيب الاجتماعي ووظائفه وطبقات المجتمع والمؤسسات العالمية الكبرى والمحلية وتقسيم العمل والتغيرات والتطورات الاجتماعية وتأثير هذه وتلك على التغيرات والتطورات التكنيكية والعكس بالعكس . زد على ذلك مركز الفرد ودوره في المجتمع والتفاعل المتبادل بين الاثنين وتأثير كل منهماعلى الاخرالى ما هنالك من نظريات علميةومفاهيم عامة تساعدعلى انماء وعي المتدربينوتوسيع آفاق تفكيرهم وتكسبهم عمقا في طبيعة العلاقات الانسانية . ولا يخفى ان الطابع النظري هو الطابع الغالب على الناحية العلمية في هذا الصدد .

والطريقة الثالثة المتبعة في مؤسسات تدريبية اخرى هي مزيج من الطريقتين السابقتين اذ يعطى فيهاالمتدرب قسطا وافرا من المعلومات النظرية والاساسية في علم الاجتماع وفن خدمة الجماعة ثم يزج به في ميدان العمل ليقوم بالتعرف الى مصالح القرية وحاجاتها ومشاكلهاتحت اشراف خبير في هذا الميدان .

لكل طريقة من هذه الطرق الثلاثة دعاة وانصار ، ولكل منها فوائد جمة لا يمكن التنكر لها . والحقيقة ان اتباع هذه الطريقة او تلك يتوقف على عوامل عديدة منها طبيعة المتحد المعنى والاهداف الخاصة به ومستوى الثقافة عند المتدربين الموجهين له . وبالاضافة الى ما تقدم فقد تعمد الدول التي ليس لها مؤسسات للتدريباو التي لا تساعدها امكانياتها من تأسيس مؤسسات لهذا الفرض الى تدريب موظفيها ممن ترى فيهم الكفاءة والقدرة على هذا العمل اثناء الخدمات الموكولة لهم ، فتعقد الدورات التدريبية المتلاحقة التي قد تطول مدتها او تقصر ، حسب الغاية التي تعقد من اجلها هذه الدورات فيطلع منخلالها المشتركون على اخر ما استمد من اساليب النهوض بالمتحدات المحلية ويتزودون بما فاتهم من معلومات اساسية تعينهم على مواصلة السير في مضمار الاصلاح . كذلك هناك مؤتمرات دورية تعقد لكل جماعة متقاربة من جماعة الاصلاح الريفي ، يتبادلون فيها الخبرات ويكشفون النقاب عن الصعوبات التي واجهها من سبقهم في هذا المجال ، او الانتصارات التي حققها هؤلاء ، ويتباحثون في السبل التي تأخذ بيدهم في سبيل التقدم ودفع عجلة الاصلاح الى الامام . وهناك ايضا المؤتمرات السنوية التي لا بد من عقدها اذ يشترك فيها اكبر عدد ممكن من القادة الريفيين ، فيتبادلون فيها الاراء والخبرات على نطاق واسع ، ويدرسون ما كان من نظريات جديدة في هذا الحقل فتتفتح امامهم آفاق جديدة في الخدمة الاجتماعية مما يجدد عزائمهم ويزيد في مقدرتهم على تحمل اعباء الرسالة التي نذروا انفسهم لها وكرسوا حياتهم للقيام بأعبائها . واخيرا وليس آخرا ، نجد ان من الامور التي تساعد على انجاح القائد المحلي تشجيعه القيام بمشروع شخصي بحت في المتحد الذي يعمل فيه . وقد يقصد من وراء ذلك تجربة توضيحية او ان يكون مشروعا بيتيا صرفا، الغاية منه مزدوجة : اولا تغذية هواية ذاتية شخصية كتربية بعض الدواجن مثلا ، متبعا في ذلك أحدث الاساليب واجداها او زراعة حديقة البيت بأجود انواع الزهور او الخضار او الاشجار المثمرة . والغاية الثانية هي اقران القول بالعمل ، فيتجنب صاحب العلاقة الناحية التبشيرية من الموضوع . وهذا أجدى وانفع اذ دلت التجارب على ان القروي اقرب الى الاخذ بالامور العملية الحسية الواضحة منه الى الايمان بالنظريات العلمية التي قد لا تسفر له عن شيء . ولذلك فان عملا من هذا النوع يصبح حافزا قويا لاهل القرية ، فيعمدون الى النسج على منواله والاقتداء بصاحبه وتقليده شرط الا يخرج ذلك عن نطاق امكانياتهم الفكرية ومقدراتهم المالية فيه والا نفروا منه ومن القائمين عليه ، وقد يولد عجزهم عن تحقيق امثاله من المشاريع عقدة نفسية لهم ربما دفعتهم الى محاربته وتهديمه والتظاهر بعدم الايمان بصحته وجدواه .

ولا بد لنا في ختام هذا البحث من ان نتساءل هل يكفي هذا الاعداد والتدريب لانجاح عمل هؤلاء القادة الريفيين ؟ اقولها بصراحة انني اشك في ذلك ، حتى ولو كان ذلك التدريب مثاليا كاملا . وقد يضيع سدى كل ما تبذله من مال ووقت وجهد في سبيل تدريب قائد ريفي، اذ يترك هذا القائد عمله في منتصف الطريق او تخور

عزيمته فيبقى سائرا في عمله بقوة الاستمرار بل مجرورا فيه وراء معاشه ، ومن اجل ذلك المعاش فقط دون ان يحس بكبر المسئولية الملقاة على عاتقه ، فتتسرب الى نفسه الكراهية والنقمة وينخز في قلبه سوس التبرم والحقد ، مما يفقده اخلاصه الحقيقي في عمله الاصلاحي ذاك . ويحق لنا ان نتساءل عن اسباب هذا التغيير الذي يقود الى الاخفاق حتما ، علنا نستطيع معالجته . وفي رايي ان العلة تكمن في قلوب الذين يقفون وراء هذا القائد لا في القائد نفسه فالطريق صعب وشاق امامه، والصعوبات كثيرة ومختلفة . منها قلة فرص التقدم والتطور ومنها ضآلة المكافآت المالية التي يضن بها عليه اصحاب العلاقة. ان الحلقة المفقودة هنا هي في ان معظم مؤسسات التدريب لا تزال تهمل المدرب نفسه وكأني به خلق ليكون نبيا او شبه نبي في تادية رسالته ، اذ يصبح بذلك كبش الفداء بل جسرا يعبر عليه ابناء المتحد الذي يعمل على خدمته الى ان يتداعى الجسر وينهار فنعود لنبني جسرا آخر وآخر حتى نيأس نحن القائمين على تدريب هؤلاء القادة من القادة ومن المجتمع ومن انفسنا .

فالحقيقة التي يجب ان نواجهها في شتى حقول تدريب القادة المحليين هي اننا لن نستطيع ان نؤمن استمرار عمل هؤلاء القادة ما لم نؤمن لهم كل ما يحتاجون اليه من مكافآت مادية ونفسية واجتماعية . وهذا يعني ان العامل في حقل الاصلاح الريفي يحتاج دائما الى حفز مستمر وتنشيط متواصل وتشجيع وتقدير . فهو واحد من الناس الذين يعمل على خدمتهم ، وهو بحاجة الى متطلبات ضرورية كما هم بحاجة الى متطلبات وضرورات حياتية ايضا . ورب مكافأة مادية ضئيلة او مكافأة معنوية ككلمة اطراء مثلا او نشر بعض الصور عنه وعن اعماله ومشاريعه ونشاطاته ـ رب عمل كهذا يعيد اليه نشاطه ويملأ نفسه بالفخر والاعتزاز والرجولة والاقدام ، ويقوده حتما الى مواصلة الجهد ، بكل اخلاص وثقة وايمان . هذه لمحة بسيطة موجزة في حقل تدريب القادة المحليين ، سقتها اليكم علها تلقي بصيصا من نور على هذا الموضوع الذي يحتاج الى مزيد من البحث والدرس والتنقيب واجراء التجارب وتبادل وجهات النظر حتى تتحقق الغاية المرجوة منه . واذا تمكنا من بناء هذا النوع من القادة المحليين فاننا نكون قد خطونا خطوة كبرى في سبيل النجاح ، واطمأنت ضمائرنا وارتاحت نفوسنا أمام رؤية العمل الاصلاح الريفي قدما نحو الامام . بذلك نقضي على مركبات الضعف في ريفنا ونرقى بمستوى قرانا بل بمستوى مجتمعاتنا العربية الكبرى ، ونستعيد مكانتنا في العالم فنؤدي رسالتنا لانفسنا وللانسانية جمعاء .

منير خوري

مونيك

Monique

•

لقد كادت البحيرة تغرق
لولا شغف المجاذيف
وكاد الملاح يغيب في الظلمة
وفجاة تعرت الشمس
وآوت الطيور الى اوكارها
ومرت اسراب من السحب
البيضاء
كأنها جنازات
في اعراس الشياطين

*

ايتها الصغيرة مونيك
ذات الجدائل الصفراء
الدافئة
اتحبين
هذه الحمّى

*

ان القلق
يزرع واحتك المخصبة
خدرا
وينثر شعرك
ويضفره
ويعود شعرك
يتكاسل
في نهم تراخيك

*

ايتها الصغيرة مونيك
ذات الجدايل الصفراء
الدافئة
اتحبين هذه العافية
يا مونيك

دوسلدورف — **ناصر بو حميد**

في مدينة «ليما» . وفي كنيستها الكبرى . وفي اثناء القداس الكبير ركعت السيدة ايزابيل الى جانب زوجها ركوع الخاشعين المتدينين . وكان ذلك منذ قرنين من الزمان . يوم كان التوجه الى الله بالدعاء والاستغفار امرا يبعث في النفس الطمأنينة . يوم كان الناس ينظرون الى تماثيل القديسين التي تملأ اركان الكنائس وكأنها قامت تنطق بالرغبة في اجابة دعاء الداعين . ويوم كان الصبية المرتلون ينشدون اناشيدهم وكأنهم يمتون الى الملائكة بنسب قريب .

وكانت ايزابيل ، يومئذ تصلي من اجل اسلافها الذين سبقوها الى الدار الاخرى . كما كانت تصلي من اجل ابويها اللذين يستمتعان بنعم الحياة . وكانت كذلك تصلي صلوات حارة من اجل زوجها الراكع الى جوارها تطلب الى الله ان يمنحه الرضا والسعادة .

وما ان فرغت من هذه الصلوات حتى توجهت الى الله مخلصة تعلن اليه في خشوع التائبين الصادقين ان ذلك الفتى الذي يهيم بها - والذي لا تعرف له اسما - ما كان يوما يريد بها سوءا . وهي لذلك تدعو الله ان يحاسبه حسابا غير عسير . وانها - منذ اليوم - تعد وعدا صادقا ان تكون على خير ما تكون المرأة الصالحة . وبخاصة في طاعتها لزوجها . وانها سوف تنبيء زوجها - وهذا امر يثير الرعب في القلوب - بالقصة جملة وتفصيلا .. ثم دعت الله مرة اخرى ان لا يصب جام غضبه على ذلك الفتى لوقوعه في حبها . ذلك لانه قد انبأها انه لا يستطيع الفكاك من اسر هذا الحب ..

وكانت المرأة الشابة لطيفة في جدها ووقارها وهي التي لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها . وكان زوجها ينظر الى وجهها وهو راكع الى جانبها بيديه المعروقتين وقد لفه من الفرع الى القدم صمت رهيب ..

وزوجها هذا من اسرة عريقة الحسب. كريمة المحتد. يملك ارضا واسعة . وقصره في « ليما » احد القصور المشيدة . اما الكثرة الكاثرة من قومه فكانوا يحسدونه على زوجته الفاتنة « دونا ايزابيل » . واما هو فكان اثناء اقامة الصلاة يفكر فيما آل اليه امره وفيما جرت به المقادير فان زواجه من ايزابيل قد دبره افراد يمثلون الاسرتين الكبيرتين في عناية بالغة ..

ولكن « دون جيم » كان قد جاوز الخمسين وكان قد اصبح محبا لامرأته مستهاما بها الهيام كله. وكان



بقلم ول جنكنز

ترجمة مبارك ابراهيم

من اجل ذلك في موقف يثير السخرية فهو يكبرها بسنين . ولكنه على الرغم من ذلك كان يحبها حبا لا يحبه الا فتى في عنفوان الشباب . فاذا اراد ان يبوح بتباريح هذا الحب كان ذلك منه امرا مرذولا ..

ولنعد الى الكنيسة فنلتقي بالصبية المرتلين وقد ارتفعت اصواتهم فبلغت سقف الكنيسة او جاوزته .

ولنعد الى « دون جيم » فنراه قد عاد الى التفكير في حبه لزوجته الشابة ذلك الحب الذي بجانبه الامل ..

ولنعد الى ايزابيل فنراها قد عادت الى الصلاة من اجل ذلك الفتى الذي قد بعث اليها برسالة غرام .



وتلك الرسالة كانت مفككة الاوصال ولكنها كانت تحدثها حديث ذلك النوع من التقديس اللطيف الذي لا تصدقه الا فتاة في السابعة عشرة من عمرها والذي لا يفيض به الا قلب فتى في العشرين ..

وتمت مراسم الزواج في الكنيسة فلما خرج الزوجان امسك الزوج - في رفق - بيد زوجته وسار بها فاركبها عربة فخمة يجرها اربعة من الجياد .

ولما بلغ الركب القصر قالت ايزابيل لزوجها في صوت خفيض : عندي كلمة اريد ان ابوح لك بها . وتوقفت الحروف في مخارجها ولكنها بعد لأي قالت: ان لي حبيبا.. ثم استطردت تقول : وهذا الحبيب لست اعرفه ... ولست اريد ان اعرفه ... وقد ارسل لي هذا المحب خطابا ..

ولكن « دون جيم » - وهو الذي جاوز الخمسين - لم يزد على ان قال - في سخرية جافة - لا بد ان خطاب هذا الحبيب وثيقة ذات خطر ...

قالت ايزابيل - في ذلة وخنوع - لقد مزقته كل ممزق . وكان ينبغي لي ان اطلعك عليه ولكني خشيت ان تكشف عن اسمه بطريقة او باخرى اذا وقعت عيناك على الخطاب . ولست اظنه كان يريد بي سوءا..

قال دون جيم : هذه نقطة مهمة.. ولكن ما الذي حدا بك الى اخباري ؟

قالت : ظننت ان هذا فرض واجب فانك زوجي ومن حقك ان تستيقن اني لا احيد عن الطريق القويم .

ونظر اليها دون جيم نظرة تجمع بين الحنان والدهشة . ثم قال لها - في نغمة رقيقة - : يا حبيبتي : لقد سلكت السلوك الواجب ولقد احسنت اذ مزقت الخطاب . فلقد كان يسوءني ان اعرف ان فتى من ابناء معارفي قد كتب رسالة غرام الى امرأتي .. ولكن قولي: هل رددت

على الخطاب ؟ قالت : لم اكتب لـه ردا . ولقد كنت فكرت ان اكتب لـه بان لا يكتب الي مرة اخرى ولكني لم افعل ..

فقال الزوج : لم يكن في مقدوري ان اشير بأحسن مما فعلت ..

وبدا عليها القلق . اما هو فلم يبد عليه الغضب ولكن بدا عليه التجلد المتكلف .. وراقبت هي — في خجل بالغ — ملامح وجهه . فابتسم لهـا ثم قال : انك حقا زوجة كاملة ...

واحست هي بفيض من الامتنان. وبدا لها انه لو كان اباها او عمهـا مثلا لاحبته اعمق الحب . ثم حاولت ان تتناسى الفضول الـذي جعلها تعجب من فعل ذلك الفتى الذي دار في وهمها انه لا يتجاوز العشرين من عمره وان له عينين دعجاوين فيهما حور وسحر ...

هذا واذا ذكرنا مدينة « ليما » وقلنا ان اهلها قوم قدريون يعرفون ان الغنى والفقر انما هـما حظوظ قسمت وجدود . وان التسليم بما ياتي به القدر امر لا بد منه ولا مفـر وان السعادة تلمح لمحا ولا تمسـك باليدين ابدا ...

ولذلك فقـد تقبل دون جيم مـا باحت به زوجته عن سر ذلك الحبيب المجهول بالرضا . واتخذه علامة على ثقتها به . واعتمادها عليه . وليس اعترافا منها بخطيئة من الخطيئات .

ولقد ربيت تلك الفتاة كما تربـى فتيات الاسر الكريمة ولا مطمح لهـا الا في زوج يكون لها اخا في السراء.. ومواسيا اذا مسها الضر .

وها هي ذي قد لقيت في زوجها ما يجعلها تحس نحوه بعاطفة مـن الحب المكين . فقد كان سلوكه سبيل الحكمة يوم قصت عليه قصة ذلـك الخطاب الذي بعث به اليها ذلـك الفتى حافزا لها الى حبه حبا ليس بعده زيادة لمستزيد .

وبينما هو مستغرق في خواطره اذ سمع ضجة الخادم فقام من مكانه يستقبل بالحفاوة البالغة امراة لدى الباب .

ولقد الفاها ممتقعة اللون وكانما قد خانتها الثقة بالنفس وهي ماثلة امامه وقالت : لقد جاءنـي خطاب جديد . وانه من حقك ان تقـراه .. واجلسها زوجها على احد الكراسي وجلس هو قبالتها ولم يلق نظرة على الخطاب الذي كانت تمسكه باصابعها المرتجفة .

قالت : ان الفتى يحبني . ولست اعرف من هو . وانه لمن فساد الراي وسوء التقدير ان يظن بي الظنون . ولكنه على اية حال كتاب كريم !

ولم يحرك زوجها ساكنا واكتفـى بأن قال وهو رابط الجاش : انه نفس الفتى فيما اظن ؟ فأومأت بالايجاب ثم تتابعت انفاسها . ومضت تقول : انه يقول في خطابه انه رءاني منـذ قريب . ثم تهدج صوتها .. ثـم استطردت تقول : انه ينبئني بانـه يحبني ، وهو قد جعل خطابه قصيدة من الشعر .. فقال الزوج — في نغمة جافية — : لقـد لبس جنونـه اليوم ثوبا جديدا .. ثم سألها : وهل شعره من الصنف الوسط ؟

وامسكت هي بالورقة ولكن زوجها اشاح بوجهه وقال : اني افضل ان لا تقع عيناي على الحروف ما لـم يلجأ هذا الفتى الى الدعـوى الكاذبة او الى سوء الادب ...

قالت : انه دائما مهـذب القول رصين التكلم . وان كنت لا تريد ان تقراه فهل تأذن لي في تلاوته ؟

قال : ما في ذلك شك !

فطفقت تقراه قراءة هادئة. وكانت ابيات القصيدة قليلة معدودة . ولم تكن من الشعر الذي اجيد صقله . ولكن صوتها — وهـي تقرا — كـان يتهدج . وكانت ابيات القصيدة تشبه هدير رجل راى الشمس بازغة لاول مرة بعد ان ظل حياته لا يرى غـير النجوم ...

ثم امسكت ايزابيل انفاسها وقالت: انه شعر جميل وان كـان الدافـع اليه دافعا غير كريم !

وتلبث دون جيم قليلا وهو يحس الاحساس كله بحرج موقف زوجته. ثم مضى يقول : وليست هذه بالمـرة الاولى . وهذا الشعر الوسط قـد انتج نتيجته التـي تبعـث الحـزن والاسى ...

قالت — وقـد تملكها اليأس — وماذا علي ان افعل ؟

قال : ليس عليك أن تفعلي شيئا.. فعما قريب سنسافر الى ضيعتنـا حيث يتعذر على الفتـى ان يلحق بنا .. ولقد عرفت الان كيف يحب انسان حبيبـا لا امل له مـن وراء حبه . واني لاحس ببعض الاشفاق عليه ..

قالت : ولكن ليس في خطابه مـا يشير الى انـه يرجـو جوابا عـلى خطابه .. واشارت الى زوجها ان يقرا ونحى الزوج الخطـاب جانبا وقال انه لاولى بي ان لا ارى الخطاب ثم اضاف — وهو يعبس — قوله : واني لاعيد القول اني احس احساس المشاركة في الهوى والصبـوة نحو زميل محب فقد الامل في ان يسعد في حبه ...

ونظرت ايزابيل الى زوجها الشيخ نظرة تنم عن الحيرة ثم علت وجههـا غلالة من الوقار والجد . فقد كانت فتاة جد صغيرة وكان مما يبعث في القلب الاسى انتحس بالحنو والعطف على هذا الزوج وهو يبوح بمكنـون سره . وقالت له — في رفـق — : اظنني سوف اعرف القصة كاملة في يوم من الايام ؟ ثم ابتسمت وقالت : لن احاول ان تتملكني الغيرة ...

وكذلك تبسم زوجها وقد تخيل انها سوف تكون في يوم من الايـام امراة تعذبها الغـيرة .. ولكنها لمـا غادرت المكان تحولت ابتسامته الى عبوس وقطوب . ثـم جلـس وقد اثقلته همومه فقـد سخرت منـه زوجته الشابة . وآية ذلك انها طلبت اليه ان يقـص عليها قصـة حبـه اليائس وهـي القصـة التي يـدور موضوعها — وهي لا تدري — حولها

هي . . .

وتتابعت الايام وتغيرت معالم الرؤيا ومرض دون جيم ودخلت عليه ذات يوم فبادر بالاعتذار – والاسى يملأ جوانحه – لانه لم يستطع ان يلقاها قائما .

فقالت له – وقد تتابعت انفاسها : لقد جاءني من الفتى المعهود خطاب جديد . وهو يعرف انني قد عدت من سفري !

فرفع دون جيم حاجبيه . . ومضت هي تقول : سوف تشكو وتصيح اذا سمعت كلماته !

وقال دون جيم – في رقة وظرف – : اذا لم ابك فهل يحسب احتباس الدمع نقدا لكلمات الخطاب وزراية على كاتبه ؟ فضحكت ايزابيل قليلا ثم قالت : ينبغي لك ان تنصت! ولسوف اغضب ان خالفت عن امري!

وجلس دون جيم جلسة المطمئن ليستمع اليها وهي تقرا . فلما فرغت من التلاوة قال لها : لن يجد المرء قصيدة من القصائد تفيض سطورها بمعاني الحب اكثر مما تفيض به قصيدة تخرج كلماتها من بين شفتي غانية في مثل حسنك وملاحتك . ويتغنى بها صوت يبعث الشوق والحنين كصوتك العذب الندي . . . واقر دون جيم ان بين سطور تلك القصيدة يخفق قلب رجل . وانها قصيدة لا يوحي بها الا خيال رجل يحدث نفسه عن الحب حديث البائس . ويدون كلماتها في صمت واسراع . وفي ابداع لا يدانيه ابداع . . . ثم مضى دون جيم يقول : ان هذا الشاعر الماكر قد اوتي قدرة خاصة على اختيار معسول الكلام . .

وابتسمت ايزابيل وقالت – وقد تولاها القلق – هل لقي انسان مثل هذا الحب من قبل ؟

قال دون جيم لقد عرفت ناسا يظنون هذا الظن . ثم مضى يقول . واني ارى ان من البلية ان يمزق اصل هذا الخطاب . وانه لغبي كل الغباء وجاهل الجهل كله في المسائل الدنيوية من يفوته الاحتفاظ بنسخة من مثل هذا الخطاب ليتركه ذكرى للذراري والاعقاب . فماذا تريدين ان اقول بعد هذا؟ فابتسمت ايزابيل ابتسامة رقيقة وقالت : اريد ان تأذن لي في ان اصلي من اجل ذلك الفتى وان ادعو الله ان يهبه السعادة التي لا يستطيع ان يظفر بها في حبه اياي !

قال : يا حبيبتي لست امانع ابدا في اداء ما يفرضه الصلاح والتقوى على اية صورة من الصور . . .

قالت : لوددت ان تكون انت وذلك الفتى روحين في جسد واحد ! فلم يجبها دون جيم وولت هي هاربة من الغرفة . . . وظل هو في مكانه ، ثم دق الجرس ينادي الخادم فقد كان احس بالتعب وطلب ان يعان على بلوغ السرير . .

وتعاقبت الايام ونحل جسم دون جيم اكثر من ذي قبل . وبات وقد تلفع بالمشيب . .

ولما اشتد به المرض كانت ايزابيل تجلس الى جانبه تقرأ له كتابا من الكتب .

وقد استيقن هو ان لا مفر لها من ان تفكر في كثير من الاحيان في فتى مجهول ظل طوال تلك الشهور التي كان هو فيها مريضا يبعث اليها بقصائد الشعر . وهو ذلك الفتى الذي كان لزاما عليها ان تصوره لنفسها – بحكم شطح الخيال – شابا لم يجاوز العشرين من عمره وان له عينين دعجاوين فيهما حور وسحر .

ثم مات دون جيم فبكته بكاء الثكلى فقدت وليدها . وكان حزنها عليه حزنا خالصا من كل شائبة . وجيء لها بخطاب كان قد اعده زوجها يوم احس بدنو المنية . وقد حدثها في هذا الخطاب – وقد برح به الحزن – حديث الجنون . جنون الحب الذي الم به . وانزل به اشد الضيق . واعترف لها انه وقد عرف ان حبه لها هو حب سداه ولحمته اليأس قد لجأ الى خدعة من الخدع .

وقد ذهلت ايزابيل اذ رأت التشابه التام في الخط بين خطابه هذا وبين الخطابات الغرامية التي كانت تتلقاها . . .

وقد هداه تفكيره الى ان اعتراف زوج شيخ بانه بات اسير غرام جارف قد يعرضه للسخرية . لذلك كان لزاما عليه ان يشعرها – وهو الذي احبها الحب كله – بانها مطمح انظار العاشقين . . . ولذلك ايضا كتب لها بعض القصائد باسم فتى من الفتيان ذلك لانه كان يرى ان كتابة قصائد الغزل امر قبيح بالشيوخ . . . ثم قال لها انه انما كتب لها هذا الخطاب لئلا تظن – يوم تنقطع هذه الرسائل الغرامية – انها قد اصبحت مجفوة مهجورة اذ قد باتت ارملة . .

وتولت ايزابيل الدهشة لدى قراءتها هذا الخطاب . . فلما ثابت اليها نفسها تولاها زهو وكبر . . .

وفي فيض من فيوض احلامها احست نحو دون جيم – الذي احتواه القبر – بعطف بالغ كانت تحس به من قبل نحو عاشقها الفتى المزعوم . . . وقد اصبحت زوجا لدون جيم اكثر مما كانت له من قبل . . . كما قد اصبحت ارملة بحكم الواقع والحقيقة . . .

وفي اقصى ضميرها . وفي أعمق اعماق العقيدة من نفسها كانت تذكره في حنان ورفق وكأنه فتى ناشيء وشاب طرير . له عينان دعجاوان فيهما حور وسحر . . .

القاهرة — مبارك ابراهيم

شقائق النعمان

**

درجت تشيم الافق من خيلاء … في موكب عطر الشذا وضاء
نثرت على الارض الفضا وكانها … شهب على ديباجة زرقاء
وتعطفت دون الثرى بترفق … كفراشة تفتر للافياء
سطعت مصابحها وقد لمع الضحى … بمصابح سطعت بنار ذكاء
نيرانها عجب ولم ار قبلها … نارا تسح بنعمة الانداء
كم في الشقائق من سراج ساطع … بالسحر والالوان والاضواء
شتان بين مصابح عصفت لظى … ومصابح سطعت بسحر اباء

* * *

تلقى الشقائق دون ازهار الربى … قد ميزت بملاءة حمراء
شام الفتى من دونها قبس اللظى … متألقا يرفض عن لألاء
لهب يعيد لخاطر عن غابر … ما مر من قصص ومن انباء
واعاد لي ذعر(الكليم) على الدجى … برقت له النيران في سيناء
فسرى ليقبس جذوة من جمرها … بيد تكاد تنوء من اعياء
واغذ يسرع والظلام ملاءة … نشرت بغير يد على الغبراء
ويخر (موسى) ساجدا لحقيقة … كشفت دقائقها له بجلاء

* * *

قامت على ساق تكاد لرقة … تعزى الى سقم وما من داء
دقت طرائقها كسهم مارق … قذفته من عبث يد بفضاء
وازينت بمطارف من سندس … تندي مطارفها بكل رداء
وتألقت الوانها مخضرة … كالنور يسطع من فتوق سماء
او مثلما اخضر العباب لعاصف … متنمر يعوي بجنح مساء
وكأن اكمام الشقائق رفرفت … عرف الدجاج يرف من خيلاء
او انها شفة مخضبة اللمي … من جامح الاشواق والاهواء

* * *

كم في الشقائق للهوى من قصة … باح الربيع بها بهمس دعاء
اني ذكرت بها الشفاه تألقت … مفترة عن بسمة الاغراء
فعطفت منحنيا على اكمامها … من صبوة عرضت ومن ادواء

دمشق — **عدنان مردم بك**

الليل والبيادر

بقلم الدكتور علي شلق

* * *

يا اخي الذي تحبه روحي ، ما اطيب الحديث اليك ، في امسية يغمرنا فيها وشاح الليل ، وتضمنا ضبابات ذكريات حلوة عن لبنان الحبيب ، لبنان الذي لا تزال حرارة اطيافه ملء عيوننا ، وتوشك ان تطفىء بعض شموعها المقدسات ، تقاليد غريبة .

لأكاد ارى وجهك ايها السامر الحبيب ، كأنني على منبر لدى سامعين ناظرين . فالمحبة عندما تفتح نوافذها ، تعرض لك الكون ، فترى الاشياء ، وتسمع صمتها ، وتشم عطرها ، وتعي نبض ضميرها .

فاذا كنت يا اخي السامع من هذا الجيل ، فما اظن ان الحديث عن البيادر يغويك . او يغريك فانت في زمن ضاعت فيه بيادر لبنان ، واصبح قمحنا يأتينا معبأ جاهزا في اكياس ، هدية من شعب لشعب ، ولم يعد لابقارنا ، ورواحلنا مقام في عهد حلت فيه السيارة ، والقاطرة ، محل الحصان والحمار ، واصبحنا نضع ايدينا على قطع من الحديد كأنها حجارة قبر ، او جدران كهف . تهدر وترغي عندما تسير بنا على هواها لا على هوانا .

واذا كنت ممن هم فوق الاربعين ، فستضع يدك اليسرى على قلبك المستفيق ، وتمسح باليمنى دمعة تدحرجت ، اثارها الحنين ، واللفتات اللهيفات ، والذكريات المتوحشة

واذا كنت من غير لبنان ، فستجد في هذه الاشياء صدى لاشياء موطنك ، التي لا تزال تنعم بالانس بها ، او انك مثلي فقدتها :

فقلت له ان الشجا يبعث الشجا دعوني فهذا كله قبر مالك

ولبنان يا رفيقي كأي وطن من الاوطان هو هذه الاشياء المباشرة من ارض وسماء واجواء ، وهو ليس كبقية الاوطان لانه يحدثك بلهاث ضلوعه ، فتشم لم عبيرا ، وتستعرض له صورا ، وتستمع في صمته الى غناء حلو مديد . وتستكنه له جوا يختلف عن اجواء بلدان العالم كلها .

والليل في لبنان آية من آيات هذا الجمال المستطيل على المعلوم والمجهول . فهو ليدك ، وبشرتك . تحسس مخمل في ليل لبنان ، ملامسة حرير ، مداعبة ضباب ، وتلقي طراوة الموج ساعة يبخ في وجهك رذاذه ودعابة روحه .

ولعينيك من ليل لبنان سواد براق ، وقمر فضي يفلش شلاله على السفوح والتلال والاغوار ، ونجوم تقرب او تبعد ، كأنها ازرار قميص تفتقها حلوة تتعرى لتسبح ، وكوى تطل بك على ابعاد ، او تخشخش لك بطرب ورقص .

اترى ؟ فالليل كالشعر لا يسمح لك الا بالرمز ، باللمحة ، اتغمض عينيك ؟ فالليل عندئذ يريك ابعد مما تستطيع العين ان تكشف . انه يفتح لك متحف الاشباح ، والصور ، والخيالات .

اتستزيد ؟ دونك الاحلام ويقظة لبنان امتع من الاحلام . والليل عندنا ينابيع ينابيع لاحلام ذات الوان .

ولاذنك في ليل لبنان نغمة مترفة ، فالجنادب لهاصرير لم يقل الشعر ، ولم تعزف الموسيقى انقى منه اداء ، ولهمس النسمات ، وعصف الرياح عنفوان لم يجر بين انفاس العاشقين اعذب منه ، ولا في جنون البطولات امجد وافخم .

حتى النجوم لها وشوشة ، وغناء ، حتى الحجارة لها في ذهولها حديث رشيق انيق ، ورنوة كعيني ربرب وسط خميلة .

الم تستمع مرة الى طراوة واد تحكي ، وهمرة شلال تجلجل بخطب علي الشقشقية ؟ وسقسقة غدير يتلعثم بلسان طفل ، وقدمي ملاك ، وجناحي فراشة ؟ اما تذوق الليل في لبنان فلن احدثك عنه بشيء ، حتى تنغمر في امسية من اماسيه الريفية ، وعندئذ تصبح شاعرا او صوفيا ، وهنا ماذا يجديك ان احدثك عن ليل لبنان بلغة من الابجدية ؟ انت عندئذ شطحت عني في ابعاد كيف لي ان الحق بك وانا بعد على التراب؟ لكن بيادر لبنان يا رفيقي ، اوضح شخصية من ليله ، فليل لبنان عميق بعيد ممعن في الشموخ ؛ اما البيدر فهو هين ، قريب ، ميسور . عندما نلفظ هذه الكلمة نستشعر الاستدارة ، فالالفاظ صدى لشخصية مدلولاتها .

والبيادر في لبنان على نوعين بيادر المشحرة ، وبيادر القمح . كنت وانا في السابعة من عمري او اقل اهبط الى وادي الشقفان ، حيث غابة موحشة كانت تغريني لصيد عصافير « ابو الحن » والسمن والشحارير ، فكنت انتقي احد بيادر المشاحر ، واحفر جورة صغيرة ، اجلب لها بلاطة على مقياسها او تفيض ثم اثبتها باعواد ، واضع طعما للعصفور من دور الارض يكون في الغالب « ابو مغيط » وعندما ياتي العصفور المسكين لينقر « الابو مغيط » يهبط الحجر على الجورة ، فيسجن الشاعر الصغير ، فآتي والقي القبض عليه .

على ان « احمد الشيتي » وهو معلمي في صنع الطوافيح كان امهر مني واعرق بصنعها ، فكان يعلق له الشحرور ، وتخدع السمنة ، وكم كان عندي مقدرا لبراعته البطولية ، شانه ساعة يصفر بلسانه صفرة خاصة كأنها هروب رف من الحجال او الفري ، ويقول لي بعد

● حديث اذيع من محطة بيروت

ان يبصبص وهو ملصق خده بالارض ، وناظر من فرجة تحت حجر الطافوحة : « اسرع فان فيها سمنة » ثم يخلع عباءته التي هي غالبا ما تكون من ثياب الجنود المجلوبة من الخارج ، ثم يبسطها على الطافوحة ، ويرفع الحجر قليلا ، ويمد يده ، ويخرجها وهي ممسكة بالسمنة .

كانت الوادي تطعمني من طراوتها ، وتسقيني من هذا الرحيق الذي لا تعصره الكروم ، انفاس السنديان ، لهثات الاحجار ، نداوة الساقية ، وتمزج ذلك جميعه ببقايا عبير الجذوع المحروقة ، رائحة بيادر المشاحر ، ويلتقي في ذهنك وخياشيمك عبير اخر من شخص الانسان الذي صادق الطبيعة ، وتعاقد معها على ان يقدم لها من ذاته عونا ، وان تقدم له من ضلوعها فداء .

كانت المشحرة توحي لي بفقد الدفء وانا ترتعش اسناني من لذعة برد الوادي ، فاحس بالضدين معا ، احساس ابي نؤاس عندما هجا بقوله في اذن واحد ممن غضب عليهم :

كذلك الثلج بارد حار وسخنت من شدة البرودة

وكنت اتخيل ان بيد المشحرة حيث اقيم طافوحتي ، مسرح مريح في الليل لوفود الجن وسمارهم ، فانطلق في النهار اتخيل واتصور كيف يلتئم لونها الاسود مع لون الجن وجوها وثيابا وجلودا !

وفي مطالع الصيف ، كنا نتأمل وفود الدواب تحمل اكداس القش ، القمح الذي هو عطاء ارضنا ، وغلة محاريثنا ، وربيب عرق رجالنا . كنا نتخذ من «اليحبون» وهو كدسة القمح السنبلي قبل ان يفلش طرحة ليدور عليها النورج ، كنا نتخذ وكونا نسميها آنذاك «مخبايات» . وكم كان يلذ لنا ان نتزحلق من اعلى اليحبون ، بعد ان نرقص على ذروته الشاهقة فترة من الوقت ، فتنحدر الاغمار وراءنا ، وربما انهالت فوقنا ، عندئذ ، يعلو احدنا ما تكدس على الاخر من السنابل ، وتنشب معركة ، يستوي فيها الرابح والخاسر ، لانها معركة لهو بريء طافح بالمحبة ، يستمد بركته من خير الغلة ، من عطاء سنبلة القمح الولود .

وعندما تاخذ الثيران بسحب النورج ، والدوران على طرحة البيدر كان احلى شيء عندنا نحن الاطفال ان نجلس على ذلك النورج وندور ولما ترعرعنا ، كان يطيب لنا ان نسوق الفدان بالمساس ، وان ننكزه احيانا ، فيمشي ، فينسحب النورج ، فيدور بنا ، ويا لها من فرحة ، وغطرسة كبرياء آنذاك ، فقد اصبحنا رجالا ، واستشعرنا فتوة الشباب ، فالفدان يستجيب لنا دون ان يحرن او يشرد .

كان اقسى شيء علي ان ينحرف النورج عن القش المدروس ، فتصدم احجاره الصوانية الحادة بالارض ، فيحدث ضجة بشعة ، اين منها موسيقى خشيش القمح وهو يستلين لانسحابة النورج ؟

كثيرا ما كنا نطرد عن البيدر لاننا لا نحسن تقليب الطرحة بالعترينة ، اما عند « التدرايه » فالامر يختلف لاننا كنا نكلف بتمييز القصرينة من القمح ، وهو عبث مفيد ، ولهو منتج مقبول .

لكن احلى ايام البيادر تلك التي كانت تسمح لنا بالتشقلب على الطرحة في هداة الليل ، وهمرة القمر ، والليل يبوح بعطر الاشياء ، فينفث القش عبير قلبه ، ويمتزج بما في الليل من سكون ، وندى ، واطياف .

اما النوم على الطرحة ، على النورج المنبطح فوق جانب منها ، فلا احلى منه ولا انقى . كان الوجود آنذاك كان يمتزج بانفاسنا ويصفي قرارات كياننا ، ويمزجنا بدوره في الكون كما تذوب قطرة تائهة ضائعة من الجو ، في اوقيانوس رحيب ، تحس فيه بانها اصبحت في رحابته ، وعظمته ، وغياباته شيئا صميميا منه .

« احملي احملي يا بهراء اكياس القمح الى الخلايا ، الى الصناديق الخشبية الضخمة ، الى اهراء الطين » هكذا كان يقول والدي لحمارتنا القوية الفارهة ، وكانت هي تحس بشعورها وعقلها ، انها تشارك العائلة بجني هذا الخير ، وتهتز معتزة تحت الاكياس ، نزقة ناشطة ، فاتعلق انا بعنقها ، وتمتلئ نفسي باحساس انيس ان هذه الدابة من جهاز البيت ، من افراد العائلة ، لا ينقصها الا ان تتكلم ، ونحن لسنا في حاجة الى كلامها .

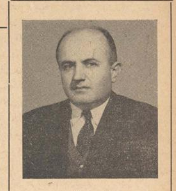
كنا ننقل الغلال الى الاهراء ، ونجمع التبن جانبا لحمله الى التبان ، اما القصرينة فنبقيها على البيدر ، اما لمعاودة درسها ، او اهمالا منا لشانها ، فالبقر تاباها لخشونتها .

كان تدعيس التبان ليهبط مستوى التبن فيه كي يتسع لكميات اخرى منه لذة لا تعدلها لذة عندنا ، ولان التبن كان خفيفا ، فحمله على ظهورنا كان مسليا ، والتسابق كان اشهى واحلى . واما العور ، وهو التبن الدقيق الناعم ، فكنا نفرده ، لنمزجه مع الطين فنصلح به سطوح المنازل الشتوية ، ونطين به جدران الاقبية والاصطبلات .

في الشتاء والربيع ، كان البيدر يكتسي بالاقحوان والزعفران ، فيتهادى فيه النحل ، وكانه يقول لنا بلسانه الخير الهنيء : « كونوا مثلي ، في الصيف عطاء ، وفي الربيع زهر ، وفي الشتاء تقبل واحتبال » اما الخريف فكان يسوقنا الى ان نحفر في البيدر حفرا للعب «الكلة» والغميضة ، والفشختين وقمزة ، والسبركة ، او القاطوعة .

كانت البيادر في جميع الفصول طافحة بالخير ، والانس والبركة اما اليوم ، فقد «اقفر من اهله ملحوب» غرست عليه بعض شربينات واشجار كينا ، فلا هو بمستقبل هذه الوافدات الغريبة ، ولا عهده الماضي بعائد اليه ، ولا اطفال الحارة يتركون تلك الشجيرات تنمو .

اهبط اليه في الجانب الغربي من دارتنا ، على المشرف ، فاستعرض في هداة الليل اشباحه وصوره ،



وديع ديب

فيروز

*

صوتها كالوحي في غمر النشيد
كانهمار الضوء من نجم بعيد
كارتعاش الطيب في جام الورود

•

صوتها همس النسيمات الرقاق
من جراحات الشبابيك العتاق
وكبوح الناي في ليل الفراق

•

صوتها كالصحو في الوجه الجميل
كدبيب الغفو في الطرف الكحيل
كرفيف الظل في جفن الاصيل

•

شنفني فيروز اسماع الوجود
وانفحي الارواح بالشدو الفريد
انت من لبنان قيثار الخلود

وديع ديب

فاراه دامعا كئيبا مستوحشا. يرفع الي جناحين مهيضين، وجفنين مغرورقين ، ويعاتبني بقوله : « الست الطفل الذي حملته على ذراعي ؟ ودغدغته بين اغمار السنابل ؟ وتركته ينصب ، ويتشقلب على ضلوعي وانا طافح بدريس القمح ؟

منذ ثلاثين عاما وانا لم ار شنقولات القمح وقاقولاته على بيدرنا ، وكما هدمت البيت القديم ، اردت ان اهدم البيدر واسويه لازرع فيه من جديد شجرا آخر ، ولكن يدا اقوى من يدي منعتني من الاساءة الى حرمة البيدر، الى شكله الحي الذي يرمز الى الشمس ، الى الفلك ، الى الذرة ، الى كل حياة تدور على نفسها ، ربما كانت تلك اليد تعبر عن ارادة الحياة ، عن قطب الوجود ، فانا مقهور بقدرها على كل حال .

فلتبق ايها البيدر ، الهيكل ، الحبيب ، فلسوف تكون لنا عودة اليك الى التوتة والحص ، الى المعابد التي هجرها ابناء الله ، سنعود اليك فان شمعته في حنايا الضلوع انارتها يد مباركة ، لن تدع مجالا لزوبعة ان تطفئها ، والا انطفأ الانسان في أعماقنا .

سنعود اليك يا بيدرنا ، فان المدنيات متى ابعدت في الزخرف ، ترتد الى البساطة من جديد في وقت مرسوم مجدد ، لان طريق المدنيات مستدير ، كطريق الحياة ، كشكل البيدر ، وكل شيء يدور ويدور ، ويتقدم في دورانه كالارض حول نفسها ، وحول الشمس ، والكون كله يدور ، والمبدع دورة حلوة في ذاته في وجود بعد الوجود .

الحياة بيدر ، ولانت يا بيدرنا في الجهة الغربية من ظهر المعصرة ، ستعيدنا اليك ، لان الحياة حنين وعودة ، وانت رمز لهذا الحنين ، ولهذه الحياة التي لا تنفك عن الدوران المشوق الى الحركة والوصول ، الى ان تتناغم الاشياء في المصدر الذي منه انبثقت الاشياء .

علي شلق



ابراهيم عبد القادر المازني

المازني شاعر وناثر وثائر

بقلم محمود بن الشريف
عضو مراقبة الكتاب بوزارة التعليم العالي

في بيئة شعبية ، وفي بيت ديني نشأ ابرهيم عبد القادر المازني ذلك الاديب المعاصر والشاعر الثائر الذي صنع اسمه بنفسه في دولة الادب والشعر .. تناوشته المحن منذ مولده ، واشتجر مع الزمن في صراع منذ نعومة أظافره ، فقد تفتحت عيناه فلم ير في محيط اسرته الا مظاهر الفاقة والمسغبة ، ولما شب عن الطوق اختطف الموت اباه فحرمه الحب والحنو ، ولم تحل مرارة اليتم وشظف العيش بينه وبين اتمام تعليمه وعرفته مدارس : القربية والتوفيقية والخديوية طالبا مجدا مكبا على التحصيل والمعرفة ، وحاول ان يخفف عن الانسانية بعض الامها بدراسة الطب والتخصص فيه ، ولكنه لم يكد يضع قدمه في حجرة التشريح بمدرسة الطب حتى اغمي عليه لشدة حساسيته ورقة مشاعره ، فتحول الى مدرسة المعلمين العليا وتخرج فيها سنة ١٩٠٩ وعمره وقتذاك عشرون عاما واشتغل بالتدريس وكان فيه كما قال صديقه الاستاذ عباس محمود العقاد قوي الشخصية رغم قصر قامته وعرجه بفضل تمكنه من مادته وغزارة معلوماته وبراعته في الترجمة والتعريب . وبعد ان انفق في ميدان التربية والتعليم قرابة ثماني عشرة سنة تركه الى مهنة البحث عن المتاعب « مهنة الصحافة » وظل علما من اعلامها حتى وافته منيته عام ١٩٤٩ .

ومن اشهر صفاته كثرة اطلاعه ، فكان يقرا بشغف ونهم وفهم ، وبخاصة ما كتبه اعلام الغرب وادباؤه عن الام الحياة ، لان الالم كان يعصر فؤاده ويهز نفسه لحزنه على زوجته المتوفاة التي كان يكن لها الوفاء اعظم الوفاء ، ولحزنه على ابنته الوحيدة التي فارقت الحياة وهي في عمر الزهر ، ولقصر قامته وعرجه اللذين سببا له الما نفسيا دفينا . وغدا معظم ادبه مرآة صادقة تعكس حزنه وتصور شقاءه وبؤسه ، وكان شعره على مثل ذلك ينضح بالشكوى والانين . فلا عجب اذن ان كانت عناوين قصائده « الوردة الذابلة » « احلام الموتى » « بعد الموت » « قبر الشاعر » « الملل من الحياة » « الليل والوهم » « الشاعر المحتضر » حتى لقد رثى نفسه في اكثر من قصيدة ، ومن قوله في ذلك :

قضى غير ماسوف عليه من الورى ... فتى غره في العيش نظم القصائد
وقد كان مجنونا تضاحكه المنى ... وفي ريقها سم الصلال الشوارد
فعاش وما واساه في العيش واحد ... ومات ولم يحفل به غير واحد
فلم يبكه اذ مات الا أجيرة ... لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد

ولكن هذه الالام والمحن لم تقض عليه ، ولم تفض به الى الانطواء والانكماش ، بل صقلت طبيعته الادبية وقوت ثقته بنفسه وصيرته شاعرا مرهف الحس ، يصور الام الانسانية اروع تصوير واصدقه . ودفعته طبيعته المتوثبة ونفسه الكبيرة الى الثورة العارمة فثار على الحياة والاحياء ، وقال في ذلك :

سأقضي حياتي ثائر النفس هائجا ... ومن اين لي عن ذاك معدى ومهرب
على قدر احساس الرجال شقاؤهم ... وللسعد جو بالبلادة مشرب

وثار ـ وهو الشاعر الفحل ـ على الشعر القديم من حيث أغراضه واسلوبه وموضوعاته ، فقام هو وزميلاه : عباس العقاد وعبد الرحمن شكري في اوائل هذا القرن بتجربة جديدة في الشعر ، تجربة تقوم على تغيير الموضوع ، اذ الشعر هبة وينبغي الا توجه للزلفى والمديح، بل توجه لما خلقت له من التعبير الصادق عن احساس الشاعر بنفسه وبخواطره وبالكون وبالحياة البشرية في آمالها والامها ، فنشأ يومئذ ما يسمى بالشعر النفسي او الهمس المعبر عن مشاعر الشاعر واحاسيسه ، المتحرر من الوزن احيانا ، وثار المازني على القافية الموحدة ولذا كان حافظ ابرهيم وقت ان اخرج ديوان شعره هدفا لنقده المر اللاذع ، اذ اعتبره ممثلا لمنهج القصيدة القديمة المفككة الابيات المعتمدة على المبالغة في المديح دون التعبير الطبيعي عن عواطف الشاعر ووجدانياته .

وعاش المازني على ما يخطه قلمه وما تدبجه براعته وما تنتجه قريحته من رائع الشعر ورائق النثر ، وكان لقلمه الحر الثائر جولات وصولات في ميدان الصحافة التي اشتغل بها اكثر من ثلاثين عاما يكتب في السياسة

اشاعوا

اشـاعوا باني رمـال
اذبت عليهـا سحابك
واني اذا ما فقدت اصطحابك
ذراع تبـاعد عنهـا الكتف
وانـي اجـف
اذا ما منعت عـن الكاس يوما شرابك
وانت تجاملني بالحديث
وبالنظـرة المولعـة
وتكره مني الكلام وتخجل ان تقطعه
اشاعوا باني كالضفدعة
احاول الهو على شاطئيك
ببعض النجوم
اشاعوا ففتح لقلبي كل الحقيقة
ليعرف حبي طريقه
اقلت باني دعيـة هذا الهوى
واني اقـل كثيرا من المستوى

لماذا تجاهلت هذي الاشاعة
لماذا سكت واني احس بها في اليدين
وتقطيبة الحاجبين
احس بهـا في يديك
برودتها والكـلام القليل
تلف اسودادا على عنق وردتنا العاشقة
وتطمس بالطين لون كواكبنا المشرقة
وتبحث بين فراغ الظـلال
وجوع الصحاري ويأس الليال
تفتش عن اي شيء يقـال
اذن قلتهـا
واني لست سوى ضفدعة
لاني ظننت بان الهـوى
وليس ســواه هو المستوى

القـاهرة — محمد ابراهيم ابو سنه

والاجتماع والادب فنهض بالمقالة الصحفية وارتفـع بها وافسح فيها لاول مرة مجالا لدراسات هادية هادفة من حياة ادباء غربيين وشرقيين ، وما زال كثير من نقادنا يعدون كتابات المازني عن الشاعريـن « بشار بن برد » و « ابن الرومي » من خير ما كتب عن هذين الشاعرين . ومقالاته في الوطنية والسياسة تدل على كياسة صائبة وفراسة صادقة ونظر بعيد . وهو يعد اول مـن آمن بالجامعة العربية ، فقد دعا اليها قبل بروز فكرتها بسنين طويلة وكتب سنة ١٩٣٥ تحت عنوان «القومية العربية» :

لقد احطنا قوميتنا بمثل سور الصين ، ولو ان هـذه القومية العربية لم تكن الا وهما لا سند له مـن حقائق الحياة والتاريخ لوجب ان نخلقها .. فما للامم الصغيرة امل في حياة مامونة .. وان اية دولة تتاح لها الفرصة تستطيع ان تثب عليهم وتأكلهم اكلا بلحمهم وعظمهم ، ولكن مليون فلسطيني اذا اضيف اليـه مليونـا الشام وملايين مصر والعراق مثلا يصبحون شيئا له بأس يتقى» .

كان اديبنا المازني من صميم الشعب ، فلم يعش فـي برج عاجي عقلي بعيد عن الشعبية بل كان يشخص في ادبه حياة الناس اليومية العادية ويعرض فـي قصصه قطاعات وشرائح منتزعة من واقع الحياة ويصور المزاج المصري الذي يميل الى الدعابة والمزاح ، حتى في لغتـه وتعابيره كان يستخدم الالفاظ العامة الدارجة الدائرة على الالسن والشفاه . وتضمنت كتبـه « حصاد الهشيم » ، وصندوق الدنيا ، وخيوط العنكبوت » تضمنت كثيـرا من مقالاته الاجتماعية ذات الاسلوب الساحر الساخر ، وترك بجانب ذلك ثروة من القصص الطويلة والقصيرة مثل « ثلاثة رجال وامراة — ميدو وشركاه — عود على بدء » ومعظمها قصص اتخذ مادتها من حياته واحداثه في دنياه، حتى لقد تتحول بعضها الى ما يشبه الاعترافات ، ففـي قصتيه : « ابراهيم الكاتب » ، و « ابراهيم الثاني » تصوير دقيق لحياته وما مر به من حوادث وما يجري في ذهنه من ذكريات وتحليلات نفسية وتأملات عقلية .

وقضى ذلك الصحفي المجدد والناثر الثائر وهو يدعو الادباء الى اتباع مذهبه واسلوبه في الكتابة باستخدام الالفاظ العامية ما دام لها اصل صحيح ، وما دام يحتج لفصاحتها كل معجم عربي اصيل .

القاهرة — محمود بن الشريف

ميكائيل انجلو .. الفنان الشاعر

بقلم موفق بني المرجة

بين محاجر الرخام ومقالع المرمر .. طفل يعبث بازميله في قطع الحجارة فيتنفس تراب نحته ، وهو لما يزل طري العود ، غض البنان ، ناعم الظفر ، كانه يرضع من مطرقته لبان الفن والجمال .

لم يكن احد يتصور اي معجزات يمكن لهذا الازميل المتراقص بين انامل « ميكائيل انجلو » اللدنة .. واي ابداع سيبدعه في مقبلات الايام .

اما والـده « لودفيكو ليوناردو بوناروتي سيموني » حاكم مقاطعة « كازانتين » آنذاك فقد حاول توجيهه وجهة اخرى ، لكن الفطرة والمصادفة ساقتا « ميكائيل » الى حدائق آل « مديتشي » حيث تنتشر ضخام التماثيل في ارجاء الصروح الغابرة ، فتستهوي فؤاد الفنان وتشده لزيارتها والتامل في بديع صنعها آناء الليل واطراف النهار .

وعندما بلغ « ميكائيل » العقد الاول من عمره بدا يتلقى دروس الفن الاولى على اشهر مصوري عصره « دومنيكو غيرالندايو » ، وما ان بلغ اشده حتى طفق يتردد على سوق السمك ممعنا النظر في دراسة اشكال زعانفه وظلال الوانه ، وقد ظهر اثر هذه الدراسات فيما ابدعه من تماثيل رائعة . كما انه ارتد الى حدائق آل « ميدتشي » ينسخ صورا ونماذج من تماثيلها بحذق ومهارة .

في تلك الحقبة من الزمن كانت اوربا على ابواب نهضة شاملة ، فشمس المعرفة سطعت على الغرب من جهة الشرق لتبدد ظلمة القرون الوسطى وتسدل الستار على اسداف المجاهل والمخازي المتوارثة .. وهكذا فقد كثر هواة العلوم والآداب والفنون في ايطاليا ، ينفقون اموالهم في سخـاء مدهش تشجيعا لاديب او فنـان يتعهدونه بالرعاية ، ويغدقون عليه الاعطيات ، كيما تطير سمعتهم في الآفاق ، وكان « لوراندسو » واحدا من هذه الفئة المثرية ، اعدته تصاريف الدهر لتعهد « ميكائيل » ورعاية نبوغه بعد ان راى تمثال « فاون » ـ رب الحراج ـ الذي نحته وكسر احد اسنانه ليبدي هرمه .

وقد عاش «ميكائيل» في كنف هذا النبيل حتى قبضه الله ، حينئذ عاد الى احضان ابيه ولكنه ما لبث ان فر الى « بولونيـا » بعـد ان غرست تعـاليم « سفنرولا » ـ المصلح الناري ـ في نفسه كره الاستبداد والفساد الى جانب اللطمة القوية التي حطمت ارنبة انفه وجدعته ، والتي جعلت منه امرؤا حاد الطباع .

وفي «بولونيا» عني بدراسة النقوش فاتم قبر القديس « دومنيك » فنحت «ملاكا راكعا» رشيقا حاز اعجاب العامةمما عرضه لنقمة نحاتي «بولونيا» فعاد الى «فلورنسا» حيث الفضيلة والاخلاق ، ووجد في «لوراندسودي بيرفرا منتيشكو » من آل « ميدتشي » نصيرا له ، فنحت لـه « كيوبيد النائم » ذا التاريخ العجيب الذي وصف بانـه لا نظير له بين جميع الاعمال الحديثة ، ورغم شهرتـه واعتراف احد « كونتات » « كانوسا » بقرابته له ونبله المزعوم فقد تعذر عليه كسب ثمن قوت يومه ، فانتقـل الى روما المليئة بانصار الفن الاثرياء عام ١٤٩٦ مفعم القلب بالآمال والاحلام . فنحت تمثالا «لباخوس» ـ اله الخمر ـ وآخر « لكيوبيد » ـ اله الحب ـ وكان يؤثر تصوير الفرد خياليا في فكرته واقعيا في دقائقه .

اما القديم فلم يقلده سوى بالالبسة ، ولعل اعظم مخلفاته في روما « بييتا » الموجود حاليا فـي « كنيسة القديس بطرس » والذي انجز نحته في سنة واحدة فكان سببا في ذيوع صيته وموردا ضخما من موارد ماله في ظـرف كان احوج ما يكون فيه الى المال ، كما صنع تمثال «ادونيس يحتضر » وعندما رجع الى « فلورنسا » نحت تمثـال « داوود الضخم » عام ١٥٠١ ذلك التمثال الذي يرتفع تسعة اذرع والذي استغرق انجازه عامين كاملين فكـان رمزا للتقدمية الصريحة وشعارا للجمهورية الجديدةنصبته الدولة في ساحة « سنيوري » في روما وما ان اضرمت نار الثورة حتى اصابت التمثال فيما اصابته فحطمت ذراعه ولكنه بجبروته تحدى الفناء ولا زال مـن احب تماثيل فلورنسا الى اهلها ، ومهما قيل في انتقاد مقاييسه فان الاثر العام الذي يحدثه في الناظر اليه يتحدى اقوال النقاد فهو بضخامته يفوق سائـر التماثيل اللاتينيـة واليونانية باستثناء تمثال «الحرية» في مدخل نيويورك .

لقد كان « ميكائيل » يفهم النحت على انه « الفن الذي يعمل بقوة الانتزاع وانه مجرد ازالة السطح من الحجـر الصلب الخشن يكفي لان يخلق منه صورة تزيد وضوحا كلما واصل الانسان النحت . »

ولعل تفضيل « ميكائيل » للذكور وافتنانه بالجسـم الآدمي ـ رغم تقواه ـ وعدم اهتمامه بالجمال هو السـبب الذي جعل من تمثال « العذراء » اضعف تماثيله .

وعند ارتقاء « يوليوس الثاني » للعرش رجع «ميكائيل» الى روما فاوصاه يوليوس الثاني على نحت ثلاثـين تمثالا لكاتدرائية القديس بطرس ومع انه اشتغل زهاء اربعيـن سنة في هذه المجموعة الضخمة فانه لم ينه منها سـوى ستة فقط ، ولكنها من آيات الفن العالمي لاحتوائها تمثـال « موسى والعبدتين وروح النصر » .

وفي الفترة الواقعة قبيل ١٥٠٦ نحت « لكاتدرائية بروج » مجموعة العذراء الرابضة الممسكة بالطفل يسوع وهو واقف الى جانبها ، وعندما اختلف مع « يوليوس » لميوله الانطوائية هرب الى فلورنسا والواقع انه كانت بينهما ثمة صفات متشابهة ، فكلاهما فذ حاد الطباع متقلب المزاج متغطرس النفس جبار الروح صلب القناة مما جعل

التفاهم بينهما ضربا من المستحيل في اغلب اطوار علاقتهما، لذا سرعان ما تدخل « برمنتي » وانتهز الفرصة فمرغ الشيخ في النار وكانت تدخلاته ضغثا على ابالة حتى اوقع بينهما ولولا « سدريني » الذي قام بدور حمامة السلام لما استؤنفت العلاقات بينهما اطلاقا ، وهكذا طلب « يوليوس الثاني » من « ميكائيل » ان يبدع له تمثالا ضخما يصبه من البرونز وبالفعل فقد اقيم هذا التمثال في « بولونيا » عام ١٥٠٨ ، لكنه صهر مؤخرا لتصنع منه المدافع ، وعندما انجز هذا التمثال رجع الى روما ليبدع في الفترة الواقعة بين ١٥٠٨–١٥١٢ مجموعة الرسوم الحائطية والسقفية لكنيسة « السستين » الذي رسم فيها اهم فصول «الكتاب المقدس» وخاصة «سفرالتكوين» « الله يلبس النور » ، « نشوء الخليقة » ، « انفصال الارض عن الماء » ، « خلق الانسان » ، « خلق المراة » ، « تجربة آدم » ، « الطرد من الفردوس » ، « تضحية نوح » ، « الطوفان » ، « جوليات » ، « عصور الانبياء » ، وغير ذلك من الرسوم التي دخل فيها « ميكائيل انجلو » الى عظمة الكتاب المقدس وظهر فيها جديا وشامخا ، لطيفا وخاشعا ، وقد استغرق منه هذا العمل اربع سنوات تخللتها فترات قصيرة للراحة ، وما لبث راعي الكنيسة «يوليوس الثاني» ان توفي بعدها بشهور فحزن «ميكائيل» لفقده باعتباره واحدا من دهاقنة الحكم وذواقة الفنون وبوفاته بدا « ميكائيل » مرحلة اخرى من مراحل حياته عاصر فيها « ليو السادس » ولم يصنع سوى لوحة « المسيح » لكنيسة « منيرفا » ثم باشر مهمته التي ضمت فيما بعد الى اعظم اعماله الى جانب قبر «يوليوس» وقبور آل « ميدتشي » في كنيسة القديس « لوران » بفلورنسا من ١٥١٩ – ١٥٣٤ والتي خلق فيها تجسيدات باهرة لقوى الطبيعة واصول العالم ودعاها « الليل والنهار » .

وقد ادخل « ميكائيل » العنصر الحديث في تماثيل « جوليات ولوران ميدتشي » فكان الاول باسما وهادئا يستمع الى احد الخطباء الغير منظورين اما الآخر فقد دعته الاجيال التالية « المفكر » حيث بدا مستغرقا في تاملاته العميقة .

وبعد هذا لم يمسك « ميكائيل » ازميلا الا لنحت بعض الاعمال البسيطة كتمثال « بروتس » النصفي و « النزول عن الصليب » وفيما كان يعتزل النحت رسم لوحته الخالدة «الدينونة الاخيرة» علىجدران كنيسة «السستين» بين ١٥٣٤ – ١٥٤١ في عهد « ليو السادس » الذيعمل بوصيته سلفه فاولى الفنون اهتمامه وهكذا جمع « ميكائيل » بين براعة الريشة وروعة الازميل .

ان « ميكائيل انجلو » واحد من الفنانين الذين خلدوا في التاريخ بما خلفوه للبشرية من اوابد وروائع ، رغم انه كان دميم الوجه كريه المنظر بارد الهمة ، ينام في عنفوان صباه بثيابه ويعيش عيشة الفقراء حتى انه لم يتزوج طيلة حياته لان الفن كان عنده اكثر من زوجة بما سببه له من متاعب كما كانت تماثيله بمثابة ابنائه ، وهو اذا رسم بعض النساء انما يرسم الامهات الناضجات وليس العذارى الساحرات، فهو حنو «ليوناردو دافنشي» كلاهما لا يحس بجمال المراة او يستشعر سحرها رغم ينابيع الجمال التي تتفجر من الجسم ومواطن الحياء والالهام التي استوقفت سائر الادباء والشعراء والفنانين.

لقد عاش « ميكائيل » حياة كلها ماساة ، لمزاجه المرير وطبيعته المكتئبة ، اللذين عاشهما طول حياته ، والنظرة السوداوية التي لازمته هي التي حفزته للخوف من الجحيم ودفعته للتبرع بالبائنات على الفقيرات استرضاء للرب وطلبا للمغفرة، واحساسه المرهف هذا قد سبب له اضطرابا في اعصابه وجلب عليه شقاء طيلة حياته فكان مزعجا بجهاده العظيم وتلك القوة المضنية وبقوة ارادته التيظلت تسخر هذا الجهد وتوجهه نحو هدف واحد هو الفن وتغفل عما عداه ، والجهد الذي توجهه ارادة جامعةموحدة يكاد يكون هو التاريخ الصحيح للبشرية ولقد كان ذلك الجهد الذي يرى في الحجر الذي لا شكل له تحديا فينشب فيه مخالب ازميله ويدقه بمطرقته ويحفره بمثقبه حتى ينكشف عن شيء ذي معنى هو نفس القوة التي اكتسحت امامها وهي غاضبة كلما يحولها عن غرضها من سفاسف الحياة ، فلا تفكر في الملبس ولا النظافة او المجاملات السطحية ولقد صدق « ميكائيل » اذ قال : « اذا اعانني الله فساخرج اجمل ما شاهدته ايطاليا في حياتها كلها . »

والحقيقة ان « ميكائيل انجلو » لم يكن نحاتا فحسب فقد مارس الهندسة في كنيسة « ميدتشي » وكان يناهز الخمسين من العمر ، فخلق فيها مجموعة متحركة اعتمد فيها البروزات ، ثم غير في روما ساحة «الكابيتول» وكان اتمام اعمال كنيسة القديس بطرس وبناء « القبةالشهيرة» تتويجا لمهنته كمهندس .

والى جانب الريشة والازميل والفرجار كان يمسك باليراع ، واتصاله بالشاعرة « فيكتوريا كولونا » شجعه في هذا الميدان ، وربما عدت قصائده تلك التي نظمها من اجمل ما تضمنه الادب الايطالي لصراحة لغتها ووضوح افكارها وخصب الوانها ومتانة قوافيها ورصانة اسلوبها وروعة بيانها .. فهو نحات في شعره وشاعر في نحته

وبعد تسع وثمانين سنة قضى «ميكائيل انجلو» محفوفا باجلى آيات التكريم والتبجيل ونقل جثمانه الى فلورنسا حيث ووري التراب عام ١٥٦٦ لينام قرير العين متوسدا تراب الرخام الذي طالما رضعه في طفولته .

في عام ١٤٧٥ ولد « ميكائيل انجلو » وطالما عشق الكنائس في حياته فانقطع اليها سنين طوالا حتى اغفا اغفاءته الابدية في كنيسة « سانت كروشه » عام ١٥٦٦

دمشق — **موفق بني المرجة**

البهاء زهير

بقلم عبد الخالق عبد الرحمن

في وادي يسمى « نخلة » بالقرب من مكة المكرمة وفي اليوم الخامس من ذي الحجة من سنة احدى وثمانين وخمسمائة ولد شاعرنا البهاء زهير وكان كاتبا بليغا ، وشاعرا مبدعا ، تلمس في شعره جزالة في اللفظ ، وحسنا في الايقاع ، وحلاوة في الجرس ، وحيثما يقع نظرك من شعره لا تجد فيه لفظا حوشيا ، ولا كلمة متكرهة . ولا تعقيدا في معنى ، ولا عوصا ، وانما تلمس حيثما يقع بصرك خفة الروح ، وايقاعا موسيقيا قل ان تجد ما يضاهيه او يشابهه من شعراء عصره فلنستمع الى الابيات التالية من شعره حيث يقول :

حبذا دور على النيل وكاسات تدور
ومسرات تموج الارض منها وتمور
وقصور ما لعيش نلته فيها قصور
كم بها قد مر لي استغفر الله سرور
كل عيش غير ذاك العيش في العالم زور
منزل ليس على الارض له عندي نظير

ان الذي يستمع الى هذا الشعر لا يشك ابدا من انه لشاعر من شعراء القرن العشرين لولا ما جاء في البيت الرابع من قوله :

كم بها قد مر لي استغفر الله سرور

والبهاء زهير يحسن المدح ولولا مديحه لما اصبح وزيرا فقد كان وزيرا للملك الصالح نجم الدين بن ايوب ويستدل من ذلك تلقيبه بالصاحب ، والصاحب لقب للوزير في ذلك العهد . فمن قوله في قصيدة يمدح بها الصاحب صفي الدين :

ومما دهاني حرفة ادبية   غدت دون ادراك المطالب خندقا
فان شملتني نظرة صاحبية   فلست ارى يوما من الدهر مملقا

ولست ادري لماذا هذه الحرفة الادبية غدت حائلا بينه وبين ادراك المطالب بينما الحقيقة والواقع يثبتان خلاف ذلك فلولا حرفة الادب ولولا شعره ومديحه لما وصل الى هذه الدرجة ولما ارتقى كرسي الوزارة ، ولكنه يرى ان نظرة العطف التي تشمله من الصاحب صفي الدين تودي بفقره وبؤسه اذ الشائع في ذلك العهد كما كان يقال (ان فلانا ادركته حرفة الادب) .

ومن قصيدة يمدح بها الامير نصر الدين اللمطي (حاكم قوص) يقول فيها :

عسى نظرة من حسن رايك صدفة   تسوق الي جدبي بها الماء والكلا
فها انا ذا اشكو الزمان وصرفه   وتانف لي علياك ان اتبذلا

وهذا شعره يدل على ان شعراء زمانه كانوا يتكسبون بالشعر اما هو فتابى عليه نفسه ان يكون شعره وسيلة للتكسب وكثيرا ما نرى في شعره العبر فمن قصيدة له كتب الى بعض اصدقائه بعد ان غرقت سفينته . وذهب ما كان فيها من اموال في اليم قال :

لا تعتب الدهر في حال رماك به   ان استرد فقد ما طال ما وهبا
حاسب زمانك في حالي تصرفه   تجده اعطاك اضعاف الذي سلبا
والله قد جعل الايام دائرة   فلا ترى راحة تبقى ولا تعبا

ولنستمع اليه كيف يهون على صاحبه هول المصاب بعد ان سلم راس المال ويحسن بذلك في تصرفه وتشبيهه حيث يقول :

وراس مالك وهي الروح قد سلمت   لا تاسفن لشيء بعدها ذهبا

وله قصيدة يعتب فيها على الدهر الذي ساوى بين الكلاب والاسود وكيف ان الدنيا لا تضيق على ذوي المروآت بل لا بد ان يجد صاحب المروءة منفذا من رحاب الارض الواسعة وكيف ان اصحاب الهمم العالية لا بد ان ينالوا ما يريدون ويتوصلوا الى ما تصبوا نفوسهم اليه اذ يقول :

الى كم مقامي في بلاد معاشر   تساوى بها آسادها وكلابها
وما ضاقت الدنيا على ذي مرؤة   ولا هو مسدود عليه رحابها
فقد بشرتني بالسعادة همتي   وجاء من العلياء نحوي كتابها

ويظهر لنا من مطالعة ديوانه وما جاء في ثنايا شعره بانه لم يرو ظمأه من ملذات الدنيا كاخدانه واترابه في ميعة الصبا وعنفوان الشباب ويثبت ما ذهبنا اليه هو ما جاء في قصيدته التي مطلعها :

رحل الشباب ولم انل   من لذة فيه نصيبي
يا طيبه لو لم يكن   ملأ الصحائف بالذنوب
فقد انجلى ليل الشبا   ب وقد بدا صبح المشيب

الى ان يقول :

اهوى الدقيق من المحا   سن والرقيق من النسيب
ويروقني الغصن الرطيب وكيف بالغصن الرطيب
واهيم بالدر الذي   بين الازرة والجيوب

ويظهر لنا ان شاعرنا كان يحيط به بعض الحمقى الثقلاء الذين يأبى الاجتماع بهم ولكنهم يتابعونه حيثما يحل ويرتحل وهو يصف لنا هؤلاء الحمقى بانهم لا يفرقون بين شهري شعبان ورجب وانهم بلا عقل ولا ادب ويصف لنا في ختام قصيدته هذه انه لم يجن منهم سوى التعب والنصب فلنستمع اليه في بعض اجزاء هذه القصيدة حيث يقول :

ارى قوما بليت بهم   نصيبي منهم نصبي
منهم من ينافق لي   فيخلف لي ويكذب بي
واحمق قد شقيت به   بلا عقل ولا ادب
فلا ينفك يتبعني   وان امعنت في الهرب

الى ان يقول :

فلم نظفر بحاجتنا واشفينا على العطب
رجعنا مثل ما رحنا ولم نربح سوى التعب

ويصف لنا في قصيدة اخرى كيف يودع حبيبته وفي قصيدته هذه تعبير صادق عن الالم الدفين الذي يحز نفسه ويجيش بين جوانحه فهو يعبر عن نفسه تعبيرا رائعا ويصور لنا حبيبته وكيف تنفلت من الشرك كما ينفلت الغزال ويصف المحب الذي يودع حبيبته وهي تئن وتبكي تارة وتلتفت اخرى ثم يلوم زمانه الذي آلمه بعنته وجوره والى القارىء ابيات هذه القصيدة :

جاءت تودعني والدمع يغلبها — يوم الرحيل وحادي البين منصلت
واقبلت وهي في خوف وفي دهش — مثل الغزال من الاشراك ينفلت
فلم تطق خيفة الواشي تودعني — ويح الوشاة لقد نالوا وقد شمتوا
وقفت ابكي وراحت وهي باكية — تسير عني قليلا ثم تلتفت
فيا فوآدي كم وجد وكم حرق — ويا زماني كم جور وكم عنت

ومن شعره الغنائي الذي سار بركبه المغنون هو قصيدته التي مطلعها :

يعاهدني لاخانني ثم ينكث — واحلف لاكلمته ثم احنث
وذلك دابي لا يزال ودابه — فيا معشر الناس اسمعوا وتحدثوا
اقول له صلني يقول نعم غدا — ويكسر جفنا هازئا بي ويعبث

وهكذا الى آخر القصيدة التي تفيض بمر الشكوى . ويصور لنا البهاء زهير عادات الناس واخلاقهم في عصره ويرى ان الذي لا يسير على السنن والفروض والعادات التي الفوها في زمانهم انما هو خارج على العرف وذلك هو الثقيل البغيض الى نفوسهم :

وللناس عادات وقد عرفوا بها — لها سنن يرعونها وفروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم — فذاك ثقيل بينهم وبغيض

وفي احدى قصائده يخاطب النفس الشريفة وهو بذلك يخاطب الظالمين المغرورين الذين لا يفكرون الا بملذاتهم ولهوهم ويومهم اما الغد وما يأتي به فهم في غفلة عنه فلنستمع اليه ماذا يقول للظالم الذي يطلب منه الرافة بالنفس الضعيفة فيقول :

ايها الظالم ما ترفق بالنفس الضعيفة
ايها المسرف اكثرت اباريز الوظيفة
ايها الغافل ما تبصر عنوان الصحيفة
ايها المغرور لا تفرح بتوسيع القطيفة
هل يرد الموت سلطانك والدنيا الكثيفة
كيف لا تهتم بالعدة والطرق مخيفة

وله شعر فكاهي جميل يداعب فيه صديقا بغداديا تاجرا كان قد اتى مصر واقام بها مدة من الزمن الى ان نفد جميع ما معه من مال وفي ذلك يقول :

دخلت مصر غنيا — وليس خالي بخافي
عشرون حمل حرير — ومثل ذاك تصافي
وجملة من لال — وجوهر شفاف
ولي مماليك خود — من الملاح النظاف
فرحت ابسط كفي — وبالجزيل الكافي
وصرت اجمع شملي — بسالف وسلاف
وكل يوم خوان — من الجدي والخراف
فبعت كل ثمين — معي من الاصناف
استهلك البيع حتى — طراحتي ولحافي
صرفت ذاك جميعا — بمصر قبل انصرافي
وصرت فيها فقيرا — من ثروتي وعفافي
وذا خروجي منها — جيعان عريان حافي

ولفظ البهاء زهير انفاسه الاخيرة في وباء اجتاح مصر سنة ست وخمسين وستمائة بعد أن ترك لنا ديوانه الذي كان موجودا في عصره فقد ذكر ابن خلكان ج ١ ص ٣٤٣ (.. وشعره « أي شعر البهاء زهير » كله لطيف وهو كما يقال السهل الممتنع واجازني في رواية ديوانه وهو كثير الوجود بأيدي الناس) .

بغداد — عبد الخالق عبد الرحمن

سأم

البجعات البيضاء تسبح في فتور
لقد ملت المياه الزرقاء
وانعكاس النور
على صفحة البحيرة
عندما يحل المساء
ويتوسط القمر كبد السماء
يسقط ضوءه في البحيرة
فتحدق فيه البجعات
ثم تمد اعناقها الطويلة
وتحاول ابتلاع القمر
كما تبتلع السمكات الصغيرة
ولكنه يظل مستديرا
ينظر اليهن ساخرا
فيهتفن في يأس
انه مجرد بقعة من نور
تمر الليالي على البحيرة
وتمل البجعات مطاردة
القمر ومحاولة ابتلاعه
فيبتعدن الى زوايا من البحيرة مظلمة
ويحدقن هناك في فتور
في كل ما حولهن من اشجار
وازهار وطيور

الرياض — سارة بو حيمد

بيد مرتعشة تسلم « فتحي » تلك الورقة المطوية باحكام داخل المظروف وقرأ :

فتحي ايها الصديق .. آمل ان تكون أنيس هذا المساء ، تشاركني وجودي ، واملي وطيد في اعماقك الطيبة النقية ... «نوال»

تمتم فتحي وهو يعيد للورقة طيتها المحكمة ويحبسها داخل المظروف من جديد ...

ـ نوال ... شكرا على هذه المكرمة ! تريدين فتحي ان يشاركك وجودك هذا المساء، وان يؤنس وحدتك ، تريدين فتحي ان يكون مطيتك ، حيث لا مطية غيره ! لا بد انك ذكية، تعرفين كيف تهجرين ، وكيف تعودين ، وفي الوقت الذي تشائين ... آه .. نوال ذكية ، ذكية جدا .. !

ولم يطل تفكيره حتى قرر ان يذهب، لتصفه بالغباء ، ولتثبت لنفسها انها ما زالت تتمتع بذكاء حاد ... لتعتقد ولتوهم نفسها انها نوال التي تستطيع عمل كل شيء ..

وبخطى ثابتة مشى فتحي الى دولاب ملابسه وابتسامة ساخرة تداعب شفتيه ، وانتقى بدلة ... تلك البدلة التي تعرف ما بينهما من حكايات ، والتي لا زالت تحمل آثار لمسات نوال.. لعله اراد بذلك ان لا يترك لها مجالا فتتصوره شخصا اخر .. ولتتذكره راسا ، فتتذكر ذكرياتها المليئة التي داستها يوم ما ، ثم ليتبادر لذهنها ان صاحب هذه البدلة قد قال لها يوما : ـ لن تقدري على حبي يا نوال .. ولكنها كانت مكابرة لقد اكدت يومها : انا لحبك ما حييت يا فتحي.. ولكن ما لبث قولها ذاك ان تبخر امام الواقع الذي لا يرحم .. بل ان صح التعبير امام « فريد » صاحب محلات « النجمة البيضاء » للالبسة الجاهزة .. لقد كنت اتردد معها على تلك المحلات ألبي لها بعض ما تريد ، مما تسمح به ظروفي .. ولكنها على ما يظهر لم تقتنع بالقليل ، وارادت ان تكون نوال نفسها صاحبة محلات « النجمة البيضاء » .

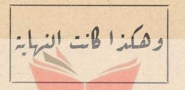
لم أكن املك يومها القدرة على فهم النساء، كنت افكر ان نوال جزء مني بل هي نصفي الذي لا يمكن ان اعيش بدونه .. « انا لحبك ما حييت » من قال هذا .. ؟ !

وخرست كلمات الحب ، ماتت ـ طحنتها عجلات الرياء والطمع ! !

وابتسمت لفريد تعبر عن شيء ما .. لم يكن فريد غبيا ، فيوم اصبح تاجرا كان قد وأد عاطفته .. فهناك عداء قديم بين العاطفة والمادة .. ! ولم يجد بدا من ان يبتسم لها في بخل وخبث ، ولكن نوال لم يثنها عن تنفيذ رغبتها شيء .. واستمرت تتردد على محلات فريد ، لقد خلبتها تلك النجمة البيضاء الكبيرة الرابضة على لوحة مثبتة فوق باب المحلات ، حتى أصبحت قبلتها التي تتوجه اليها كلما سنحت الفرصة ..

ووقع فريد ذلك الذي ظن انه امات عاطفته يوم شغلته المادة عن كل شيء ، وقع في شرك نوال ، انه الان يبتسم لنوال مخلصا وليس مداجيا . وتوطدت العلاقة بينهما ، وتعاهدا على الزواج . كادت نوال تطير فرحا ، وكيف لا ؟ وهل كانت تصدق ان محلات « النجمة البيضاء » ستصبح بعد ايام قليلة ملكا لها ؟! تذهب اليها لا لتشتري ، ولكن لتاخذ ما يلائم ذوقها بلا حساب ! ..

ومرت الايام بعد الزواج هادئة ، لا يشوبها شيء .. ولو انها مع فريد تشعر بأن جمالها بدأ يذوى ، ففريد ليس بالكبير ، وليس بالشاب ايضا ، انه في منتصف العقد الثالث من العمر تقريبا .. واقنعت نفسها بنسيان فتحي ، ذلك الشاب الذي احبته يوما ما



بقلم محمود بركات

بعمق وحرارة .. ثم لفظته كالنواة .. لم تعد تأبه للصعاليك امثاله . انها الان ثرية ! .. أليس زوجها فريد صاحب محلات « النجمة البيضاء » ومن اثرياء البلدة المعدودين ؟! وماذا يساوي فتحي بالنسبة له ؟؟ وهل تاجر كفريد يقارن بطالب يدعى انه في الجامعة كفتحي .. لا يملك من بهرج الدنيا الا القشور ؟ ! ..

واحب فريد نوال ، واخلص لها كل الاخلاص، فلديها من الطاقات والامكانيات ما يجعلها جديرة بحب أي شاب يتوقد حيوية.. فهذه بسمتها الآسرة وروحها المرحة ، وصدرها المرتفع في كبر وخيلاء .. وهذه السيقان الزمردية الممتلئة نوعا ، كل ذلك مع وجهها المشرب بحمرة التفاح ، والى جانب ما رأى عليها من خلق كريم .. كانت الدافع لفريد ان يقرر الزواج بنوال . ـ

ومشت نوال جنبا الى جنب مع فريد ،



ولكن طبيعة عمل فريد تحتم عليه ألا يرى نوال الا ليلا .. ولم يخطر ببال فريد ان نوال كانت او ستكون اذكى منه في يوم من الايام.. فتفرح به على انه لعبة جديدة .. لقد غاب هذا عن ظنه ... انه سيكون بعد اسابيع لعبة قديمة في يد طفلته تلك ..

أما نوال فقد كانت تظن انها اسعد مخلوقة عندما تزوجت فريد ، وكيف لا وهو صاحب محلات النجمة البيضاء ؟ لم تعلم ان الداء في نفسها ، في اعماقها لم تعلم انها لا زالت بعقلية الاطفال ، وعرفت الان كل شيء ، عندما لم تجد كبير فرق بين فريد وفتحي ذلك الذي قالت عنه في احد الايام .. صعلوكا..

فهذا فريد تشغله محلاته ، وقد حدد صلاحياتها فلم تعد تراه الا لماما « يا لها من انسانة تعسة باعت نفسها بنفسها » هكذا صارت تهجس ، وقوي هذا في اعماقها وأشتد ، حتى تبرمت بهذه الحياة التي تشعر فيها انها قطعة اثاث جميلة ليس كبير فرق بينها ، وبين دولاب الملابس الفاخر اللماع .. وربما يكون في نظره اثمن منها .. من يدري!؟ وكادت ان تحرق نفسها في مثل هذه الشكوك التي بدأت تختمر في رأسها . .لقد اذابها الشك فعلا في فريد وحبه لها حتى جاء الوقت الذي بدأت تزن نفسها في ميزان فريد ، وفريد يؤكد لها انها كل شيء بالنسبة له . لكنها لم تابه لاقواله ، ولم تصدق ما يقول . فقد استنفذ ذلك اللقاء بينها وبين فريد اغراضه ! .. لم تعد ترى فريد هدفها الذي تسعى اليه ، انها تريد لعبة جديدة لها طعم خاص في ذوقها ، لقد كسرت لعبتها الاولى فتحي ، وها هي تكسر اللعبة الثانية فريد .. ان هذه اللعبة رغم ثمنها الباهظ لم تعد تساوي شيئا ..

ان الاطفال يفرحون باللعبة الجديدة بادىء ذي بدء ، ولكنهم ان رأوا لعبة اجد منها مع طفل اخر كسروا تلك اللعبة ، واقاموا الدنيا واقعدوها من اجل ان يحظوا بلعبة جديدة كتلك التي رأوها ، انها طبيعة الطفل الذي يرغب في كل ما هو عند غيره ، ويكره ما لديه ..

وضربت نوال يدها على جيبها تبحث عن حافظة نقودها لتشتري اللعبة الجديدة ، نظرت لنفسها في المرآة .. تبحث عن الثمن ـ ولكنها لم تجد غير قروش ضئيلة لا تكفي ولا حتى للتمتع برؤية اللعبة عدا شرائها .. !

وعادت الى واقعها ، وصار شريط الذكريات يمر امامها ، عندما صدمها الواقع بقسوة وعنف ، تذكرت فتحي ، ذلك الذي قالت له يوما :

انا لحبك ما حييت .. ألم تكن كافرة بكل شيء عندما نكثت بقولها له وتركته يتلظى

يا انس نفسي

كنت وحيدة
في وحشة قاتلة
وبحاجة الى صديق
مسحت يدك هم قبلي
وازاحت الغم عن صدري
فتحت لك باب داري
وكشفت لك سري
الصداقة جميلة
وكنت اريدك صديقي
المودة عذبة
وكنت اظنك رفيقي
صداقتنا روضة
يتلاقى فيها عصفوران
يتنقلان بحرية على الاغصان
ولا يكونان عبدين لنزوة
الصداقة اسمى من الجسد
وابقـى
ولكنك اسأت فهمي
كنت صديقي ورفيقي وانيسي
قربتك مني
فظننت باني ملكتك نفسي
بدات تغـار

وتخاصمني لكلمة او نظرة
ما كنت اقبل ان اكون
عبدة لنزوة
النزوة غرق ، والصداقة نجاة
تركتك على الشاطىء
لئلا يجرفني مدك
لكنك اتيت بمركبك
وحببت الي الركوب فيه
ثم شئت ان تدفعني الى اليم
لا ، سأكون اقوى من نزوتك
سأهرب بالمركب وانجو بنفسي
سادعك على الشاطىء
واعود لانفرادي
وقسوة وحشتي
لن احيل الصداقة العذبة
الى نزوة طارئة نهمة
ذكرى الصداقة الحلوة
اجمل عندي من جذوة
رمادها يتبعثر
ولا تبقى غير الحسرة

تونس **ناجية ثامر**

بنار اشعلتها في قلبه عندما رضي بأن يكون غبيا فيصـدق اقوالها . وشعرت نوال وبعد فوات الوقت انها مجرمة في حقه ، فقامـت بإرسال تلك الرسالة تدعوه فيها الى رؤيته..

والتقت نوال بفتحـي .. تقدمـت اليه وعانقته بحرارة .

ـ فتحي ـ أنسيتني يا فتحي ... انـا نوال ـ نوال .. ! !

ـ نوال .. حقا انه اسم جميل .. اسم يطيب ترديده ... نوال .. نوال .

وحاولت نوال ان تذكر لفتحي كل شيء ، وتعترف له بجرمها عساه يسدل ستـارا على ما فات ، ولكنها لمحت في قوله انه لم يعـد فتحي ذلك الذي تغريه اقوالهـا ، وروحهـا المرحة .. فلتترك الموضوع ولتحاسب نفسها بنفسهـا ! .. فانها مخطئة بل مجرمة في حقه .. ونظرت الى فتحي وهي في شبـه غيبوبة ..

ـ فتحي ! يحسن ان نفترق .. فلم اعد في نظرك نوال تلك التي كنت تكن لها حبـا عميقا في قلبك .. وانا لا اشك بأنني اخطأت في حقك ولكن هذا الذي حدث ـ ! وكنـت اعتقد ان مثل هذا اللقاء الذي حدث قـد يعيد الخيط الذي انقطع ، ولكن على ما يبدو ان ذلك الخيط قد بلي ولم يعد هناك امل في ربطه من جديد .. يحسن ان نفترق وداعا يا فتحي .. وتركته وهي تخفي عينيها بمنديلها!

وبقي فتحي في مكانه لا يريم، وكأنه الصنم الذي احسن المثال صنعه ... لم يحاول ان يرد بكلمة على نوال ... لعله لم يقو عـلى الحديث في مثل ذلك الموقف .. او لعله وضع اعصابه في ثلاجة ليلقن نوال درسا تستفيد منه في مستقبل حياتها ... فتعرف قدر الصعاليك امثاله ... الذين يعيشون في الحياة بأحاسيسهم وعواطفهم .. ! غـير ان فتحي كان في حالة عصبية جد رهيبة عندما علم في اليوم التالي ان نوال قد وجدت جثة هامدة على رمال الشاطىء ...

الظهران **محمود بركات**



ابتهال

اجرنـــي يا الـه الكـو ن ، من في الكون يحميني ؟
ومـن للـشر يقصيه ؟ ومـن للخـير يدنيـني ؟
ومـن غـيرك يغفـر لـي اذا خفـت موازينـي ؟
ومـن سينـير لـي دربـي اذا الظلمـاء تحوينـي ؟
ومـن يسمـع اناتـي بجنـح الليـل تضنيني ؟
ومـن اشكـو لـه ضعفي سـوى ربـي يقوينـي ؟
وتأبـى النفـس ان تشكـو ومـا طبعـت عـلى الهـون
دمائـي بالابـاء جـرت وعنـدك سر تكوينـي ..
محال ان امـد يـدي لغير الله كـافينـي ! !
اذا ناديـت يـا ربـي اريـد العـون يعطينـي
وان عجـز الاطبـاء وبـات الـداء يؤذينـي
دعتـك الدمعـة الحرى تلبيهـا فتشفينـي !
دعوتـك يـا اله الكـو ن كـاد الهـم يفنينـي
وحين اقـول يـا ربي يشـع النـور فـي الحين
فتمحـو ظلمـة الاشجـان والالام تنسينـي ..
وترحمنـي فتحمينـي وتعطينـي فترضينـي ..
رفعـت الراس يـا ربي بجاهـك انـت تعلينـي ...
ومـاء الوجـه تحفظـه عـن الزلات تقصينـي
وان يهمـس بواجـد تـي وسـواس الشياطين ..
حفظـت الـروح بالايمـا ن والتوحيـد والديـن
وصنـت النفـس طاهـرة وبالتقـوى تغـذينـي

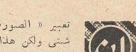
مصر الجديدة **روحية القليني**

الكلمة والصورة : دراسة نقدية في الابداع الفني

بقلم الناقد بيوتر باليفسكي

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

**



تعبير « الصورة » كلمة فسرت تفسيرات شتى ولكن هذا المفهوم لم يحدد تحديدا وافيا. ومن ذلك ان العالم اللغوي الروسي الكسندر بوتيبنا بدا دراساته للقيمة الفنية من طريق فحص الكلمات المفردة وضمن تلك الدراسات في كتابه « ملاحظات عن نظرية الادب » . فتوصل الى قدر كبير من النجاح . انه وجد في بناء الكلمة انعكاسا عن العملية التي تجري في الصورة الفنية . واكتشف في عدد من الكلمات « الشكل الداخلي » واعني به السمة التي على اساسها تتكون الكلمة الجديدة من كلمة اخرى ، طبقا لمبدا التداعي والتماثل . وقد تصبح هذه السمة مبتذلة احيانا فتنسى وعندئذ تخرج الكلمة عن كونها « بلاغية » .

بيد ان بوتيبنا بعد تقسيمه الكلمات الى (بلاغية) و (غير بلاغية) لم يتجاوز ذلك الحد من وجهة النظر الادبية . اما اتباعه فبدلا من التقدم جلبوا الفن كله وقصروه على استخدام الكلمات (البلاغية) . كان هذا غلطا ، لان ذلك المفهوم على طرفي نقيض مع الواقع اذ ان الكلمات لا تستخدم في كثير من الفنون الاخرى على الضد من الصور التي لا تقل تأثيرا عن الكلمات . وفي الوقت نفسه يسعنا ان نذكر عددا من المؤلفات الادبية القيمة حيث تستعمل الكلمات البلاغية بنسبة ضئيلة جدا .

الكلمة (البلاغية) لا تتضمن جوهر الصورة ولكنها تحتوي على شكل مبتسر من النموذج البدائي الخاص بالفكرة البلاغية ، واعني به المقارنة . ومع ان المقارنات موجودة في الكلمات فهي تختلف عن الكلمات في علاقاتها النحوية . وليس عرضا ان نقول عن بعض المقارنات «هذه صورة جيدة » لان المقارنة تخفي ضربا ساذجا من ضروب الصورة .

واذن فمم تتالف الخلية الصغيرة ؟ الشيء الذي يثيرنا اول وهلة ، هو ان المقارنة تساعدنا على فهم موضوع من خلال موضوع آخر . فنحن لا نستعمل القاعدة : ان (ب) هو(ب) وانما نقول: (ب) هو (ب) اوبالحري هو يشبه (ب). ومثالنا على ذلك ان عيني كاتوشا ماسلوفا كانتا (سوداوين كسواد الخوخ البري الرطب) (١) وهذا ليس طريقا مباشرا بسيطا لعكس العالم بالقياس الينا . وهو ليس مجرد تفوه بعبارة لفظية بل هو عملية مستقلة تمت من طريق الكلمات . ان الفكرة لا تبدع بوسائل بسيطة مباشرة عن عكس نوعية الموضوع بكلمات. فعينا كاتوشا ماسلوفا ليسا (سوداوين) حسب بل هما سوداوان (كالخوخ البري) ، فالفكرة والمحتوى ونوعية موضوع معين تبعث جميعا الى الحياة بعلاقتها بموضوع آخر . وظل كلمة (اسود) الذي لا يمكن ايصاله بالكلمات حسب ، ثبت بمعونة موضوع اخر ، هو الخوخ البري . وما هو مهم جدا في هذه الوحدة هو ان (ب) ليس (ب) اذ الموضوع الثاني ليس اعادة ولا تكرارا للموضوع الاول . عينا كاتوشا ليستا خوخا . ومن هنا فان (ب) يصبح اكثر وضوحا لكونه يشبه (ب) .

و(كاف) التشبيه هذه لها اهمية نظرية لا مغالاة فيها. انها تتضمن مبدا جديدا غير اعتيادي من مبادىء العلاقات (المتقابلة) : صلة تكمن في حقل (النحو) ولكنها في الوقت نفسه اعمق من النحو نفسه . انها تقودنا الى ذلك الترابط بين الصور الفكرية ومشاهد العالم الخارجي مما يفضي في النهاية الى تكوين الصورة (الفنية) .

فالمقارنة اذن ليست وحدة ، ولكنها لا تدل على المرحلة الاولى من القياس التماثلي ايضا ، فعندما نقول : المربع ذو اربع زوايا قائمة واقطاره متساوية وعليه فالمربع هو مستطيل انما هنا نحن نؤدي عملية منطقية ولا نرسم صورة من صور المقارنة حتى لو استخدمنا التعبير : للمربع اربع زوايا قائمة كالمستطيل .

ان المقارنة البلاغية على الضد من القياس التماثلي لا تحل موضوعا محل موضوع اخر بل هي شكل فريد من اشكال الادراك . لذا فالمقارنة بين المربع والمستطيل مثلا ممكنة لانهما من الصنف نفسه . في حين تعمل المقارنة البلاغية متناولة موضوعات بعيدة عن بعضها ومن حقول متباينة كل التباين . واهمية هذا الامر لا تنجلي بصورة مباشرة من خلال الكلمة ولكن من عكس موضوع على موضوع آخر . . .

وحين نقول : ان عيني كاتوشا هما كالخوخ البري ، لا نجد في هذا توضيحا بل وصفا ، بيد ان هذا الوصف هو ادق توضيح واجمله ، ومن هنا نقابل عقدة من التناقضات لا تحلها الا المقارنة . واذن (ب) ليس (ب)

(١) من قصة (البعث) لليون تولستوي .

ومع ذلك ف (ب) يذكرنا بعض الشيء ب (ب) وهو لدرجة معينة (ب) وعليه فالمقارنة تقـوم مقام الوسيـط بين المتناقضات كما تزيلها ايضا . وعقدة التناقضات هذه في اساس كل صورة (فنية) .

* * *

ومثل عيون كاتوشا الذي ضربناه تعوزه قوة المقارنة الحقيقية لانه من جانب واحد . بيد اننا نجد في كتابات تولستوي الاخرى ضروبا رفيعة من المقارنـات . فدعنا نذكر احدى هذه المقارنات : الحاج مراد وشجيرة «التتر». يكاد تولستوي يستغرق في تأمل عوسجة وذلك في مقدمة الحكاية : شجيرة « التتر » هذه كانت تملك ثلاثة اغصان، احدهما كسر وانتزع كذراع مجدوعة ... الظاهر ان عجلة مرت على الشجيرة ، لكنها نهضت مرة ثانية وانتصبت مع شيء من الميلان الى احدى الجهات ، كأن جزءا من جسمها قد قطع منها ، كان احشاءها انتزعـت وذراعها بترت واحدى عينيها بقرت ... فما كان مني ، الا ان فكرت في تلك الحيوية . لقد استولى الانسان على كـل شيء وحطم الملايين مـن الاشجار ، ومـع ذلك ، فهذه الشجيرة لم تخنع ولم تذل ، وهذا ما ذكرني بشيء حدث في القفقاس من مدة طويلة ...

ثم يحدثنا تولستوي عن القصة كلها ، عـن النضال اليائس الذي خاضه انسان سحقتـه عجـلات نظامين استبداديين . وفي الختام ، في اللحظة التي تشعرنا بدنو وفاة الحاج مراد نواجه مقارنة من جديد . « وفجأة ارتجف وانتكس وسقط من الشجرة عـلى راسه ولم يتحرك بعد ذلك ، كانه عوسجة اجتثت من الجذورها » .

ان العوسجة التي افيـض عليها التشخيـص الحي ب « ذراعها المجدوعة » و « عينها المقلوعة » حولت الـى شكل متشعب من اشكال مصير الحاج مراد ، فالشجيرة والانسان اللذان يوضعان موضع المقارنة ، يتقاربان كل الى الاخر ، ثم يلتقيان فيسيران جنبا لجنب بغير ان يفقد احدهما مراى الاخر ، وفي ختام القصة يتبادلان المواضع وبذا تكمل الحلقة .

ان هذا الضرب من المقارنة يكاد يصبح صورة (فنية) اصيلة نظريـا ، بسبب مـن وجود الشروط الضرورية لابداعها . فما هي الميزة الجديدة هنا ؟ لم يقارن الموضوع الاول بالموضوع الثاني حسب ، بل قورن الموضوع الثاني بالاول . واهميتها المطلقة لا تلعب دورا ما ، فقد يكون احدهما موظفا كبيرا والثاني اوزة كما هي الحال في المقارنة التي اجراها غوغول في كتابه « بعـد عرض الكوميديا الجديدة » ولكن هذا لا يهم فالصورة شأنها شأن قاض جليل لا تفرق بين كبير وصغير ، ومن هنـا فالموضوع الاول ينعكس في الثاني والثاني في الاول . اما الفكرة التي تنبثق من الوضعية الجديدة فهي لا تفسر ايا مـن الجانبين بصورة مستقلة . وعلى ذلك فالتأملات المتقابلة تلتقي في بؤرة داخلية ، يمكن ايجاد فكرة منطقية مفهومة لها ، ولكن بتغيير ينتاب المعنى حتما .

ومن هنا فالمقارنة تنال معناها بطريقتها الخاصة ، بوضع الاشياء مواضع متناقضة ، وهذه هي ميزتها . وطبيعـي ان تحافظ على خاصيتها هذه في مختلف اشكال الكنايات.

ومع ذلك فالكناية لا تصلح اساسا للصورة لضيق مجالها. ذلك بأن ابسطـ نوع من الصور بحاجة الى شيء آخر . واذا كانت الكنايات هي كل ما نحتاجه في العمل الفني يصح اعتبار الصوريين كلاسيين من الدرجة الاولى وتصبح الشكلية (٢) خير ما يبتغى في الادب . والشكليون انفسهم هم الذين جعلوا كل القيمة الفنية منحصرة في (استخدام نوع معين من اللغة) اما الاستاذ بتيموف الذي يدافع عن وجهة النظر تلك فهو يسفها اكثر باعتباره الفن ضربا من « الكلمات الملونة » .

صحيح ان الفكر البلاغي يبـدع الكنايـة والاستعارة والمجاز والجناس والطباق ، وبهذه الواسطة يغير من شان اللهجة العامية الاعتيادية ، ويغني مفردات اللغة وينعشها . ولكن الناقد الادبي لا يكتفي بتناول الموضوع تناولا لغويا محضا . انما المهم عنده ملاحظة تيار الفكر الخيالي الذي يؤدي الى تكوين الصورة . وهذا الفكر الخيالي ليـس قادرا على عرض نفسه من خلال الكلمات حسب بل من خلال وحدات مهمة اشد اهمية واعني بها الصور الفنية.

وهذا المظهر واضح كل الوضوح في مثال العوسجة . والموضوعات التي قورنت كانت ذات اهميـة متعادلة ، فتحت الغلاف اللفظي وصنع جهاز خاص للمعاني لا يتفق والشكل النحوي ويتألف من موضوعين يعكس احدهمـا الاخر ، وهو ما اشرنا اليه على انه اقرب شيء الى الصورة.

ولكن الصورة هي جهاز غني بالانعكاسات المتقابلة . ذلك بأن الموضوعات التي تتخلل هذا الجهاز تتكاثر كتكاثر الانعكاسات على المرايا . والصورة ـ في الوقت نفسـه ـ هي من اعظم الاشكال المؤثرة التي اكتشفها الذهن الانساني للسيطرة على وحدة الاضداد . وفي الوقت الذي تتهاوى فيه اللغة اللفظية وتتبعثر مبعدة الاضداد وموصلة اياها بصورة منفصلة ، تأتي الصورة فتوصلها الى الاذهان كلا كاملا بغير اقل مشقة . انها تظهرها مرة واحدة «مجموعة من الافكار بعمل واحد » . ذلك بأن كل الاضداد التـي تحتاج في اللغة اللفظية الى عبارة خاصة او توكيد معين وتوضيح مسهب تمتزج هنا في مادة واحدة ، فهي لا تسمى ولا توضع منفردة ، بل هي « ترى » و « يشعر بها » وهذا يعني انها تضمنت في الصورة الفنية .

ان كل عمل اصيل فني يخضع الى الخيال . فالظروف والشخوص والموضوع هي صنوف تابعة للعمل الذي ينظم كل تفصيل ويربط بينه وبين غيره ، مبتدئا بميزات لغة

(٢) هي المدرسة الادبية التي تعتمد الشكل اساسا لعملها دون الالتفات الى المضمون التفاتا جديا ، المترجم .

المؤلف ومنتهيا بشخصية البطل، واذا ما ظهر نشاز، شيء منعزل ، فهذا دليل اكيد على ان مبدا غير فني ، مبدا غريبا قد تدخل في الصنيع الفني .

الصورة الحقيقية تنبثق من تناقض دقيق مفهوم ، وتنمو حتى تصبح شخصية (قصصية) تتأثر بغيرها من الشخوص والظروف ثم تكمل نموا في النتاج الادبي .

وهاك بعض السطور من الفصل الثاني والعشرين من (الحاج مراد) (٣) هذه السطور التي تتضمن الحكاية كلها : « لمعظم الروس الذين يعرفون قصة الحاج مراد كما هي الحال لسلطات بطرسبورغ .. تبدو القضية كانعطاف حسن في الحرب القفقاسية او مجرد حادثة مثيرة ، اما بالقياس على الحاج مراد ، فهي خاصة في مرحلتها الاخيرة ، ليست سوى نقطة تحول عنيفة في حياته » هذا هو المخطط الجاف العاري الذي يتوزع على الشخوص والحوادث وبمعونة تولستوي تتقابل هذه الحوادث والشخوص وجها لوجه فتقع في شباك عقدة لا يحلها الا الموت . فنقولا الاول الرجل الظالم المستبد برايه الكليل البصيرة ينعكس في (شامل) وشامل في نقولا وكلاهما في خدمهما الوحوش ، اما حيوات الشعب البسيط ، اسرة سادو او اسرة اندرييف فتنعكس بعضها ببعض ، ولو على الجانب المغلوط ، كما في علاقاتهما ب « المجتمع الراقي » . بيد ان الحاج مراد نفسه الواقع بين فكي الرحى ، فيقضى عليه القضاء المبرم . ومن هنا ، فالفكرة والموضوع تنبعثان الى الوجود من طريق الانعكاس المتقابل .

وهكذا تكون الصور حلقة مقفلة ونظاما من الانعكاس المتقابل . وتصوغ بأنفسها نموذجا خاصا للعالم فيه واجهات الواقع متصادمة ببعضها وعاكسة لبعضها . انها تكون عالما صغيرا ، كيانا عضويا يسيرا يستند الى اعتماد ظواهر الحياة الشاملة بعضها على بعض .

ومن السذاجة ان نفرض ان المسالة قد حلت بهذا التعريف او بأي تعريف اخر ، وكل ما هنالك يشير الى تقدمنا بعض الشيء . نحن نشعر بوجود هوة ، فجوة بين « سلسلة الانعكاسات المتقابلة » وبين الصورة الفنية . فالمقارنة والانعكاس المتقابل يعملان وفق معطيات معينة في حين تبدع الصورة كيانا جديدا من هذه المعطيات .

من اليسير تصور انسان يشبه حصانا وعلى الضد من ذلك فهذه مقارنة . ولكن جرب ان تدرك الانعكاس المتقابل ككل عندئذ يصبح التشبيه صعب المراس لان النتيجة ستكون حيوانا خرافيا يدعى « سنتور » لا هو بالحصان ولا بالانسان ... وهذا الحيوان يجسد حكمة الطبيعة المنقولة الى الانسان . ووجود هذا الحيوان الخرافي ضروري لاننا بواسطته نـدرك التناقض الحاصل بين الانسان والعالم والوحدة بينهما ايضا . والخطوة الاخيرة في تكوين الصورة تثير التفاتنا ، اذ كانت لاول وهلة مقارنة ـ بناء جسر بين موضوعين ثم تمت ظروف الوحدة . وبعد ذلك فجاة تنشقت المقارنة بنسمة الحياة بمنطقها الخاص الذي يطور منطق الواقع ولا يستنسخه . لقد ظهر وجود جديد بميزات جديدة وبمحتوى لم يكن من المستطاع التعبير عنه بمقارنة بسيطة .

* * *

لقد تلاشت المقارنة ، ضاعت في الصورة ، تاركة خلفها اثرا معينا . فبدلا من موضوعين او ثلاثة او اكثر نرانا امام موضوع جديد يتضمن جميع الصفات المتباينة مع شيء من الحدة . اننا اخذنا بنظر الاعتبار المخلوقات غير الواقعية كالسنتور لان تلك الوحدات تمثل ابسط نوع من الارتباطات واوغلها قدما . وحين نقول : ان الصورة تنبثق من المقارنة فليس قولنا هذا الا فرضية نظرية ، لان تاريخ الصورة يبدا من مخلوقات تامة التكوين فيها آثار تشير الى ذلك التكوين . ولنضرب لذلك مثلا الاساطير « الميثيولوجيا » ففيها اشكال هجينة بدائية جدا جاءت الى الوجود بسبب من تناقض الاضداد . فالاله المصري أمون رع انسان بدائي براس حداة يواجهنا بعين واحدة مندهشة . ومع ذلك فالتأثير غير منكور ، لان تلك النظرة تخلق انطباعا عن شيء خارج هذا العالم ، عن لامبالاة تامة ، عن موقف غير انساني ، ولعل ذلك كله هو ما اراد الصانع المجهول ايصاله الينا . ومن هنا نحن نشعر بان هذا الاله سيحكم علينا حكما مرعبا لا رحمة فيه .

ان ساردي الحكايات الشعبية والفنانين الرسامين استخدموا دائما المقارنات المنطوية في مظاهر الطبيعة المرئية . وشعر الشرق القديم يقدم لنا العديد من الامثلة على ذلك ومن تلك : « انك رقيقة رقة شجرة السرو » و « عيونك نجوم . وشفاهك حمراء حمرة الياقوت . » وهكذا حتى يزين المخلوق الجميل بكل المقارنات . ونحن نرى في كل خطوة كيف تتحول سلسلة المقارنات الى صورة تحت هذا التأثير او ذاك ، فتظهر حيوانات غريبة تشبه التنين بمخالب الطيور تنفخ اللهب ، وطيور برؤس آدمية واغوال من الجن .

ومن المفيد ملاحظته ان هذه الصور البدائية غالبا ما تنطبق اجرامها مع النتاج (الادبي) ككل . ولنأخذ ابا الهول مثلا لذلك ، فهذه الصورة موجودة في حكايات رمزية قصيرة مع ما فيها من وحوش غريبة (فانتازية) (٤) ومن هنا فالفانتازيا جزء اساسي من الخيال وهي عنصر مهم موجود في ابسط انواع المقارنات ، ومثلنا على ذلك قولنا « لمع السيف كالبرق » فلكي تقارن بين شيئين ينبغي ان تستعمل نوعا واطئا من الفانتازيا . بيد انك لا بد ان تستعمل كل ما فيها من قوة حين تتطرق الى

(٣) موضوع القصة هو الحاج مراد الثائر القوزاقي الذي انتفض على القيصر نقولا وعلى الشيخ شامل معا ، المترجم .

(٤) الفانتازيا : هي التصوير الواهم الخيالي الذي يعين الكيان الادبي على التحليق في اجواء التأمل ، المترجم .

الصورة ، وهذا مبعث التناقض القديم بين الخيال والحقيقة .

من المعترف به ان الحاج مراد قد كان رجلا حقيقيا ولكن بوشخوف في «الحرب والسلم» وفيديا بروتاسوف في « الجثة الحية » كانا روحين (حقيقيين) فهما واقعيان وغير واقعيين ، انهما يجولان في الارض ، وفي الوقت نفسه لا جسم لهما ، انهما « ماديان » بشكل يختلف عن الناس الذين سبقوهم . ولكن ما هذه « الارواح » ؟ اليست نتاج الفن ؟ نتاج الخيال ؟

الواقع ان الفن يبدع كائنات جديدة تعيش على وفق القوانين التي تسيطر على حيوات الكائنات الانسانية . والفن ما هو الا (تصوير جميل) وقد استخدم ستاندال الكاتب الواقعي نفسه هذه العبارة ، مع انه يعرف ان كتبه لم تكن لتسر الناس الا بعرضها الصادق للحياة . والتناقض الموجود في الصورة يتمثل في الحقيقة المرئية من ثنايا الخيال . وما عمل العرف والفانتازيا سوى اعادة وتقليد للانعكاس الموضوعي بين شيئين متقابلين .

وذات مرة اطلق بلزاك حكمة لطيفة حين قال : « ان الفنانين يخترعون الحقيقة بالتماثل القياسي » واختراع اي صورة يتأتى ــ اول ما يتأتى ــ من التقليد . ومن هنا، فالفنان ــ شأنه شأن العالم بأسره ــ يخلق من المادة المتيسرة له ما تخلقه الحياة في كل لحظة . اما التناقض بين الحقيقة والخيال فيزال في الصورة لان الاخيرة تجسد الحياة وتخلق موضوعات متشابهة لا بـ « التماثل » البسيط كالمقارنات البدائية حسب بل هي تعيد خلق الظاهرة الجديدة ، الشخصية الجديدة ايضا .

ثم ان الفانتازيا هي جزء لا يتجزأ من الخيال . فبينما هي تظهر في الفكر العلمي كوسيلة ، كطريقة مشروطة ، او ادعاء او تنبؤ بالنتائج المحتومة ، نراها ــ في الفن ــ المنفذة الرئيسة للواجب الجمالي « استتيك » وبانية كيان الصورة . ولا يمكن للصورة ان تنمو وتتكامل بغير مساعدة من الفانتازيا وهذا واضح في الجن والشياطين والاغوال وغيرها من مبتكرات الخيال الشعبي .

وحين نأتي الى صورة الانسان نرانا في موضع اشد صعوبة ، ولم تبرز هذه الصورة الى الوجود الا بعد ان سمح الوعي الاجتماعي بذلك . ففي الحكايات الخرافية القديمة كـ « حكاية اللص » المصرية نرى الانسان رمزا مجردا ، ودلالة تقليدية ، وشخصية فاقدة الميزات ، انسانا يعاني الوف المغامرات ، ومن ثم فنوعية النموذج ليست فنية بعد ، انما هي مباشرة ، الانسان هو مجرد صائد سمك ، او تاجر او لص ...

طبيعي اننا يمكن ان نتخيل نمو الصورة (الفنية) من شخوص بسيطة : فايفان هو كبيوتر وبيوتر هو كسيدور وسيدور هو كاندريه ، وبجهد هائل نحذف (كاف التشبيه) وننطلق الى شخصية جديدة ، الى فرد جديد .

وما نثر المقارنات على امراة جميلة سوى محاولة لتكثيف الصورة وتجسيدها بمساعدة الفانتازيا . ولكن الصورة لا تدرك الوحدة الحقيقية الا حين تأخذ الارتباطات بين الشخوص المختلفين والتماثيل مجراها ، في مفهومنا للمراة الجميلة ، وحين تمتزج عدة من النساء الجميلات حقيقة ليكون امراة جميلة واحدة يبدعها خيال الفنان .

هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فان الفنان المحترف قادر على خلق الصورة دون زيادة شيء على الحقيقة اعتمادا منه على المقارنات والقياسات التي تجمعت في وعيه (والتي يستطيع ان يستخلص منها الصورة التي يريدها ..) (٥) وهنا يبدو الخيال خانعا ونشاطه كامنا لا يتحرك وهذا ما نراه في صور غوركي الادبية ، او صور كرامسكوي او هولباين . (٦)

ان انعكاس الحقيقة في الصور قضية شاملة عامة ، فالطبيعة والاشياء والحيوانات والكائنات البشرية كلها خاضعة لهذا الامر ، والانعكاس الخيالي هو الذي يساعدنا على سبر اغوار الصور بغير تحطيم وحدتها . فالذئب في « المخلب الابيض » لجاك لندن يتجسد (انسانا) حتى يشبه الانسان الذي هو صاحبه ومرافقه ، ومن هنا نرى الوفاق بينه وبين الطبيعة وبينه وبين العالم الحيواني .

ليس من الضروري ان نسهب في البحث عن الحقيقة القائلة : ان الانعكاسات المتقابلة كثيرة كثرة الارتباطات بين وقائع الحياة نفسها، وهي لا تعين مجرد الاستنساخ وطبع صورة ثانية عن العالم ، هذا الواقع الذي لا بد من تكراره لان معظم الصعوبات المتعلقة بهذا الموضوع يمكن حلها من طريق (تفسير) التناقضات . وعلى ذلك فالصورة ليست هي الحياة وكل عمل فني يتكون من عناصر تكاد تنتهك مجرى الحوادث الطبيعية بتقصيرها للزمن او تمديده . وقد تقلب الاشياء راسا على عقب وكل ذلك بغية انتقاء زاوية الانعكاس المطلوبة .

* * *

وما المادة التي تكسو الصورة الادبية الا اللغة . فالرسام يستخدم الالوان والنحات الطين الخزفي او الرخام ، وكذلك الكاتب فانه يستعمل الكلمات . ومن هنا ففكرة الصورة تنبعث من الانعكاس المتبادل . ولكن الكلمات هي ارق مادة شفافية ومرونة عرفت للانسان .

ثم ان كون الصورة الادبية متجسدة في الكلمات يستدعي العديد من النتائج . وقد عالج « ليسنج » هذه المسالة معالجة رائعة لم يستطع احد بزها الى الان . ويبدو ان بعض نتائجه لا تزال محافظة على اصالتها ، ومن ذلك مذهبه القائل بأن الادب يعرض الحركة ويصورها ، على حين ان الرسم او النحت لا يعرض الا حالة معينة

---

(٥) من كلام المترجم . (٦) الاخران كاتبان معاصران مشهوران بالصور الادبية ، المترجم .

وان الادب يعالج الاحوال (الظروف) والاشيـاء المادية بصورة غير مباشرة من طريق الحركة ...

هذه امور معروفة واضحة من زمن طويل ، مع ذلك فهي لم تمنع انتشار الافكار السطحية عن الابداع الفني ، التي مؤداها ان البلاغة ـ اي استخدام التشبيه والاستعارة الخ ـ هي ميزة الادب الرئيسة .

وواقع ان الكلمات في فم (بطل القصة) او المؤلف او في اي مكان من العمل (الادبي) تحافظ على دورها الرئيس ـ في حمل الافكار وتمثيـل كـلام الانسان الاعتيادي ـ هذا الواقع يجعل القضية غامضة ، القضية التي تتناول اللغة الادبية على انها المادة الاولية للغة اخرى هي « لغة » الصورة ...

ان البلاغة بحد ذاتها لا تخلق عملا ادبيا فنيا ، وكل من ينكر ذلك لا يعدو كونه بيروقراطيا يجهد للابتعاد عن اللغة الاعتيادية الفنية بالصور الباعثة على الحياة . وليست نظرية (البلاغة) بوجه عام سوى نظرية مبتذلة بالية ... ذلك ان لغة الفن هي الصورة الفنية « لا وسائل التعبير » و « لا الرسم بالكلمات الزاهية » .. ومشكلـة اللغويين « الاسلوبيين » تكمن في انهم لا يعترفون بغير الكلمات في اي عمل ادبي .

طبيعي ان الفكر البشري يستخـدم دائما نوعـا من الوسائل ولكن هذه الوسائل لا يتحتـم ان تكـون اللغة اللفظية حسب .. وما الصورة الفنية الا شكل من الفكر الانساني الذي يستطيع ان يحيا بمختلف الوسائل ومن ضمنها اللغة ، دون ان تكـون اللغة جوهـر الصورة . والصورة تملك (لغتها) الخاصة و (منطقها) الخاص . ولا يكون للغة اللفظية شأن الا متى ما اصبحت وسيلـة محتملة للابداع .

* * *

من الصعوبة طبعا ان نتصور اي كاتب اصيل ينبذ عمل الخيال ، وينسى الصورة «التي هي اصعب لغة في العالم» على حد تعبير بلزاك ، مستعيضا عنها بالتطريز اللفظي . وعلى الضد من ذلك ، فاذا كانت (البلاغة) هي جوهـر الفن ، يصبح (الفن) ملكا مشاعا لجماعة من المدربين على الدراسات اللغوية حسب . وكـل ما ينبغي عملـه هو « الرسم بالالوان الزاهية » رسم فكرة او حادثة او حقيقة واقعية ، ثم لفها (بكساء جميل) وهذا هـو الصنيع الفني .

والخلاف بين الكتاب ـ في تلك الحالة ـ سينصب على الدقة في الصناعة لا اكثر . ومما لا شك فيه ان الكثيرين من الناس سيكونون مستعدين لتمثيل دور الكتاب مستنين نظرية الكيان اللفظي على اعتبارها المبدا الرئيس فـي كتابتهم ، فهل هذا من المهام المترتبة علينا لرفع مستوى نوعية الفن في ادبنا ؟ وكيفما يكون الامـر ، فـان اللغة اللفظية في الادب ليست مجرد لغة بل هي واسطة فنية . تابعة للصورة حتى لغة اي شخـص (مـن الشخوص القصصية) لا تعبر تعبيرا مباشرا عن الفكرة التي وراء الكلمات بالقدر الذي تضفيه من ضوء على (نفسية) ذلك الشخص . فليس المهم ما قيل بل المهم من الذي قال من هو الانسان الذي يقف قبالتنا ؟ ومن هو الكائـن الذي يختفي خلف الكلمات ؟

« وهذا ما نراه بجلاء في شخـوص شيخوف وفي شخوص دوستويفسكي ، ولا سيما شخصية كيريلوف في قصة « الممسوسون » التي تعطينا انطباعا واضحا فـي الفرق بين الصورة الفنية والكلمة اللغوية » . (٧)

اربيل ـ العراق — يوسف عبد المسيح ثروة

(٧) من كلام المترجم .

هواجس

هاك حطام الذكرى .. يا قاسي
قسما لـن انادي
تلك البارقات المتوجعات
من جراح الماضي
عذبتني .. والليالي مسهدات
والقنوط نبراسي
اخذلتني .. وحبي طفل
وشبابي حلم
وقلبي الشمعي يضيء قفاري
انا من الوجود راحلـة
كزهرة الاقحوان

وحبك مداد رسائلي
اين .. اين سطوري
اوراقي .. لوحات كبريائي
ترانيم هيامي
ينابيع طهورة عذراء
من حنين ذاتي
اتراك .. احرقتها .. مزقتها
ان حبك يا ظلالي
طيوف كالدخان الاسود
هي في دنياي مصباح يتالق
وذكراك .. اغاريد هواجسي
اصداء تحناني ...

دمشق — منور فوال

البحر

سليمان عواد

دمشق

النهار الذي انسكب على حياتي
من شلال الابدية
لم يكن صافيا كالدمعة ...
فالدمعة الصافية تهدىء في النفس
الف خاطر يتمزق
وتضمد في القلب الف جرح يئن
النهار كان نهرا كدرا موحشا
وانا كنت عليقة تطفو فوق مياهه العكرة ...
هذا النهار ، كان على غرار النهارات السابقة
وكنت اظنه سينسكب في قلبي
دواء مسكنا ، ونشيد عزاء ابيض
لكن شمس خلاصي المرتقبة لم تبزغ بعد ...

* * *

... ايتها الاشجار العارية في السهل
المحدقة بكآبة في وجه السماء
كوني قيثارتي المعزية
وانا في طريقي الى حبيبتي
التي تنتظر قدومي عندما تتفتح الازهار ...
كنت فيما مضى اتراخى في سيري
نحو هذه الحبيبة الحريرية ذات القميص الازرق
المطرز بالفضة
هذه الحبيبة التي اسماها الاقدمون : البحر
واسميها انا : الاغنية الزرقاء الابدية ...
فانا هناك كنت اتعطر بأريج البخار الشفيف
والضباب المثقل بملوحة الامواج ، والرطوبة
ورائحة الدم البريء
دم ضحايا البحر المساكين ...
وكنت اعشق هدير الامواج
الذي يذكرني بجيشان الدم في قلبي
وجريان النسغ في السنابل
واحشاء التوت البري الاحمر
وفي اغراس التفاح المزروع في حدائق الابدية..

* * *

النهار العكر هذا ، يضرب روحي بقسوة وهمجية
كما يضرب الجلاد وجه سجين ...
النهار هذا ، يجري في دمي حنظلا
في اعصابي شوكا
في قلبي خناجر وحشية ...
وهاانذا ، نهر كدر موحش
عليقة ... اشجار عارية ... بحر
جلاد ... سجين ...
وشرايين من الشوك والحنظل ...

ليلى بنت الضيعة

بقلم ميشيل سليم يمين

الى روح جبران خليل جبران بمناسبة ٣٠ سنة على وفاته

اكتظت صالة المزايدات الفسيحة ، التي تقع تجاه مبنى احدى ناطحات السحاب في مدينة نيويورك الصاخبة، بكبار الامريكيين واغنيائهم ، وببعض اثرياء العرب ، الذين تركوا بلادهم من زمان بعيد ، واستقروا في العالم الجديد ، واخذوا يفحصون ما حوته تلك الصالة من تحف فنية، ومعروضات نفيسة ، الى ان حضر الخبير المثمن المستر وطسون ، وشرع يطوف بهم، متنقلا من تحفة الى تحفة ، شارحا لهم تاريخ كل واحدة منها ، حتى انتهت به خاتمة المطاف الى ركن في تلك الصالة ، فيه صورة كبيرة موضوعة في داخل اطار جميل ، مصنوع في لبنان من خشب الارز ، فأخذ يعدد محاسنها ، بما عرف عنه من المقدرة في الدعاية ، والشهرة في ابراز الاوصاف والمزايا، وتصويرها بصور تغري السامع على الشراء ، ثم وقف قليلا وقال :

– تأملوا هذه الصورة جيدا يا حضرات السادة ، انها تحفة فنية رائعة ، انظروا الى شعر الفتاة الذهبي المرسل على كتفيها ، ودققوا النظر في عينيها العسليتين ، وفي تقاسيم وجهها ، انظروا اليها ، انها تكاد تنطق ، انها حية بلا حياة ، سنطرح هذه التحفة الفنية بالمزاد بمبلغ مائتي دولار ، نعم بمائتي دولار فقط .

وابتدات سوق المزايدة، وراح كل واحد من الحاضرين يلقي بدلوه فيها، واخذ الثمن يتدرج بالارتفاع ، حتى بلغ خمسمائة دولار .

وهنا وقف المستر وطسون ، واجال الطرف بالحاضرين ، وكأنه يدرس نفسيتهم ، ثم شرع يستحثهم على المزايدة بكلامه المغري ، والفاظه المشوقة ، كي يزيدوا في الثمن فقال:

– لقد فاتني يا حضرات السادة ان اقول – والحقيقة انه لم يفته القول ، وانما تلك طريقة من طرق الاغراء ، التي عرفت عن المستر وطسون على حمل الحاضرين على الشراء – ان هذه الصورة تمثل الجمال الشرقي العربي ، انها لفتاة لبنانية عربية ، قد نزح اجدادها من لبنان الى العالم الجديد من عشرات السنين ، وهي بريشة المصور البارع ، والفنان الشهير ، والاديب الكبير جبران خليل جبران .

وسكت المستر وطسون برهة ، وراح يوزع ابتساماته على الموجودين في صالته كعادته ، ثم اردف ما تقدم قائلا :

– من منكم يا حضرات السادة يجهل جبران ، وفن جبران ؟

واشرابت الرؤوس عندئذ ، وتطاولت الاعناق الى التفرس بتلك الصورة الجميلة ، وحمي وطيس المزايدة ، حتى رسا المزاد على نخله درويش احد اللبنانيين الاثرياء بمبلغ الف دولار ، فدفعه ، وحمل معه تلك التحفة الفنية الغالية ، وانصرف الى داره ، وزين بها صدر بهوها الفسيح ، وكان كل من ينظر اليها من الزائرين الذين كانوا يترددون على منزله ، ويتأملها ، يأخذه العجب من جمالها ، ودقة التعبير في رسمها .

وفي ذات يوم ، زارت الكاتبة اللبنانية فدوى احدى صديقات جبران ، وواحدة من الكثيرات اللواتي نهلن من بحر علمه وفنه ، وتتلمذن على يديه ، منزل نخله درويش لتهدي اليه مؤلفها«المغتربون العرب في المهجر» فرات الصورة في صدر البهو ، فاخذت تتأملها بعين الفنانة ، فعرفتها في الحال ، ثم التفتت الى نخله صاحب الدار وقالت له :



– من اين جئت بهذه الصورة يا سيد نخله ؟

– قد اشتريتها بالمزاد من صالة المستر وطسون .

قالت فدوى :

– ولكن اتعرف ان لهذه الصورة قصة ؟

التفت نخله درويش الى فدوى واجاب بشيء من الدهش :

– قصة !!!

اجابت فدوى :

– نعم ، وقصة غريبة ايضا ، هي التي اوحت الى استاذي جبران رسمها بعد ما اسهبت الصحف في حينه في وصف الحادث الذي حدث لصاحبتها ، ونسجت حولها القصص، كما زينت بعضها ، صدرها برسم الفتاة .

قال نخله :

– اصحيح ما تقولين يا انسة فدوى ؟

– ما في ذلك شك ، ان هذه الصورة لليلى الاشقر اللبنانية كما لقبتها الصحف الامريكية وكان جدها لامها صاحب المطعم الشرقي في الحي السوري .

– هذا شيء كنت اجهله يا انسة فدوى ، وانا ، ما اشتريت هذه الصورة الا لكونها من رسم جبران ، فقد ضننت عليها ان تقع في يد احد من الامريكيين ، ولكن ما هي هذه القصة فقد شوقني كلامك الى سماعها ؟

اعتدلت فدوى في جلستها ، والتفتت الى نخله وانشات تقص عليه قصة الصورة فقالت :

– في ذات مساء من ايام

الصيف الجميلة ، جاءت نجلاء صديقة ليلى صاحبة الصورة ، لتزورها في دارها ، ولتقدم لهـا التهاني بعقـد قرانها ، بشاب من شبان ضيعتها ، وبعد ان مكث الاثنان يتحدثان معـا بمختلف الشئون، نهضت نجلاء تريد الانصراف ، غير انها قبل ان تستقل سيارتها ، وتدلف بها الى منزلها ، ذكرت شيئا فاتها ان تقوله لليلى ، فعادت ادراجها وقالت :

ــ ليلى ، قد فاتني ان اقص عليك خبرا قد يزعجـك سماعه ، وربمـا يؤلمك ايضا ، بيد انه يهمك معرفته .

قالت ليلى بدهش :

ــ ما هو هذا الخبر ؟

قالت نجلاء :

ــ هل تذكرين المدعو خليلا، الذي طالما ضايقك في حبه لك ؟

سرحت ليلى فـي خيالهـا قليلا وقالت بصوت فيه شيء من الارتباك والدهش :

ــ نعم اذكره جيدا .

ــ انه اليـوم نزيـل مستشفى الامراض العقلية ، ولكن ارجـو الا تكوني انت السبب في مصيره المؤلم هذا . اجابت ليلى وهي تغالب نفسها المثقلة بالضيق :

ــ ماذا تقولين يا عزيزتي ! ! ! هل هذا صحيح ؟ ومتى حدث له ذلـك العارض ؟ لا لا لست انا مسئولة عن مصيره، فهذه هي المرة الاولى التي اسمع فيها بعد زواجي مثل هذا الخبر المؤلم .

ــ نعم قد اعتراه عارض الجنون هذا ، منذ امد ليس ببعيد ، وربمـا بعد زواجك .

ودفنت ليلى راسها بين يديهـا واخذت تخاطب نفسها قائلة :

ــ هل الام حقيقة على ما اصاب خليلا صديق الامس ؟ اليس هـو الذي نفض يده مني ، وتخلى عني ، وتركني اقاسي مـرارة الفـراق وحدي ، بعد ان اشترت تلك العجوز الامريكية قلبه بالدولار ؟ اوليـس هو الذي خرج على تقاليد ضيعتنـا وتزوج بتلك الغريبة التي لا يعـرف اصلها ولا فصلها ؟

وذكرت ليلى بعدئذ ، ذلك اليوم الذي قابلت فيه خليلا في استوديو جبران ، وكان بمثابة ندوة يختلف اليه اللبنانيون المغتربون للبحث في شئون الادب والفن ، وسماع اخبـار الوطن من القادمـين مـن لبنـان ، وبينما هي تستعرض ذكريات ايامها الماضية دخلت عليها خادمتها وقالت لها :

ــ هل ترغبين يا سيدتي في بقاء المصباح مضاء حتى مجيء سيدي ؟

اجابت ليلى بشيء من الضيـق والضجر :

ــ ارجو منك ان تدعيني وشاني ، اني لا اتوقع مجيئه مبكرا في هـذه الليلة .

قالت ليلى هذا ، وذهبت الـى مخدعها يخامرها احساس غريـب . فاستلقت على سريرها تتصفح مجلة كانت تداعبها في يدها ، وتعالج بها النوم ، وهي تتقلب في فراشهـا على الجنبين ، تفكر بخليل ، واذا بها تشعر بحركة غريبة ، ثم ما لبثت ان سمعت صوتا منبعثا من الحجرة المجاورة لمخدعها ، فارهفت اذنيهـا الى مصدر الصوت ، فرات خيالا في المرآة التي امام سريرها ، فصاحت بخوف :

ــ يا الهي ! ! ! ما هـذا ؟ انـه شخص حقيقي .

وانكمشت في مكانها من الرعب، ولم يترك هذا الزائر الغريب الـذي اقتحم عليها سعادتها ، لها فرصـة للاستغاثة ، فقـد انسل مـن وراء الستارة المضروبة على الباب المؤدي الى حجرة نومهـا ، وهجـم عليها ، وامسكها مـن شعرها بقسـاوة ، فازدادت مخاوفها ، وانعقـد لسانها من دهشة المفاجأة ، وجمد الدم في عروقها ، وايقنت انها مائتة لا محالة، ولكن الحياة عزيزة غاليـة ، فقـد حاولت ان تقف على قدميها غير ان هذا الزائر قد ارغمها على التراجـع الى سريرها ، فقفزت الى ذهنها فكرة وهي انه ربما يبغي الاعتداء عليها .

فنظرت الى وجهه الشاحب ، فرات فيـه امارات الغضب متجسمة ، فتمالكت شعورها ، وايقنت ان لا فائدة من المقاومة والصياح، فاستسلمت له وقالت ، بصوت رقيق حنون :

ــ هل هنـاك مـا يضايقك يـا عزيزي ؟

وقعت لفظة عزيزي في قلـب الزائر الغريب موقع السحر ، فشعر بشيء من الراحة في نفسه، وارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة ، فـترك شعرها ، ولـف يده حـول عنقها ، وقبض بالاخرى على معصمها ، حتى شل حركتها وقال :

ــ انت طبعا تعرفين جيدا من انا؟ وتعرفين ما الذي يضايقني ، لقـد افسدت حياتي وقوضـت اركـان سعادتي .

كانت ليلى تنظر الى محدثها وهي لا تزال ترتعد خوفا وفرقا ، ولا سيما بعد ان راته يخرج مدية حادة من بين ثنايا ثيابه وقالت له بصوت مضطرب حائر :

ــ ماذا تقول يا عزيزي ؟ انا رهن اشارتك لكل ما تطلبه مني .

ــ ماذا اقول !!! لقـد خدعنـي كلامك المعسول في الماضي ، وحملني على الظن بك بانك مخلصة ، وكانـت اقوالك خير مشجـع لي في التمادي بحبك واخيرا تركتني ، فلم استطع تحمل تلك الصدمة ، صدمة الصـد القاسية ، فاصبت بالجنون، وادخلت مستشفى الامراض العصبية وفررت منه في هذه الليلة ، وجئت اليك في جوف الليل لاضع حدا لحياة كانـت سبب تعاستي وشقائي .

وسكت الزائر برهة وهو يجيـل الطرف حوله وهو يرهف اذنيه فـلم يسمع شيئا ، فعندئذ رفع الخنجر الذي بيده وقال مهددا :

ــ بهذا الخنجر ساطعن قلبـك وقلب زوجك من بعدك .

اسقط في يد ليـلى المسكينة ،

وابتسمت في وجهه ابتسامة لا تخلو من الخوف واستدرار العطف وطبعت على وجهه قبلة كانت الكلفة بادية فيها وقالت :

ـ ماذا فعلت حتى تروم قتلي ؟ اني انا بكليتي لك .

ـ لا تسأليني عن السبب ، فقد كتبت لك قبل زواجك بأسبوع واحد كي ترفضي الزواج بابن ضيعتك . فرفضت ، ولم تكلفي نفسك مشقة الرد علي بكلمة واحدة ، واعلمي اني وانا اخاطبك الان اتمتع بكامل قواي العقلية .

تمالكت ليلى شعورها وعاد اليها شيء من هدوئها ، وراحت تربت وجهه وقالت :

ـ ما هذا الكلام ؟ اني لم اتلق منك كتابا قط ، والا لو كنت تسلمت رسالتك ، لكانت الامور تسير على غير ما هي عليه اليوم ، فانا قد حسبت انك قد اعرضت عني واقلع قلبك عن حبي ، حين اقترنت بتلك الامريكية العجوز ، وثق اني على الرغم من زواجي ، ما زلت مخلصة لك مقيمة على حبك ، وانا عندما اخلو الى نفسي افكر بتلك الايام الحلوة التي قضيتها معك واذكر تلك الاحاديث الغرامية في استديو جبران ، الذي شهد مولد حبنا ، واني على اتم استعداد لافعل ما تشير علي به .

لما سمع خليل صديق الامس هذا الكلام ابرقت اسارير وجهه ، فأعاد الخنجر الى نصابه ، وطبع قبلة على محيا ليلى وقال :

ـ هل انت جد صادقة فيما تقولين يا ليلى ؟

قالت ليلى :

ـ سأريك مبلغ صدقي يا عزيزي ، والان سأمهد لك السبيل للفتك بالرجل الذي نمقته نحن الاثنين ، فأرى ان تتوارى وراء الستارة المضروبة خلف باب المدخل ، الذي اعتاد زوجي ان يدخل منه حتى اذا جاء طعنته بخنجرك فيموت لساعته ، وبذلك نتخلص منه ومن مضايقته لنا

سكتت ليلى برهة واردفت ما تقدم قائلة :

ـ وربما لا يدخل زوجي من هذا الباب لان عنده مفتاح الباب الخلفي. لا ، لا ، يجب الا اقامر في حياتك الفانية ، تعال معي الى خارج هذه الحجرة ، ففيها باب يؤدي الى حجرة اخرى ، يمكنك ان تختبيء فيها وعند مجيء زوجي الى البيت اعطيك اشارة فتتسلل منها وتنقض عليه بخنجرك فما رايك ؟

اجاب خليل :

ـ الراي ما ارتأيت يا ليلى .

تأبطت ليلى ذراع خليل ، وسارت معه ، وادخلته الى الحجرة ، واحكمت اقفالها عليه وما انقضى وقت طويل ، حتى كان بوليس النجدة في داخل شقة ليلى ، فألقى القبض على خليل واعاده الى مستشفى الامراض العقلية ، تلك هي قصة هذه الصورة

ووقف نخله درويش ووقفت الانسة فدوى بجواره ، واخذا يتأملان الصورة من جديد فقرآ في ركن في اسفلها العبارة الاتية :

« ليلى بنت الضيعة » بريشة جبران خليل جبران .

القاهرة ميشيل سليم يمين

تراويد هوى

حين تغمضين عينيك الخضراوين
وتمضين في رحلة الرقاد
سامر على اهدابك الليلية الناعمة
في غيمة عطاء ربيعية
لارش عليها الطيوب
حيث تحملين مني ،
الى مشارف احلامك الوردية
كل هواي وحبي

وهج الجراح في اجواء ذاتي
يفرش لك الطريق بالنور
كلما اتقدت رؤاي على لفتاتك الرحيبة

آملا ان تباركي كنوزي العذراء
انا المنذور في هيكل هواك

من اجل الزمرد الوامض في عينيك الفاحكتين
انا ملاح جزر بخيلة الهبات
اجدف بسواعد يتيمة
لاعود من مقالع الزمرد البعيدة
بالف زورق وزورق
من رغائبي المسكينة المذابة
في امواج عينيك الخضراوين .

دمشق زهدي خليل



شعر الحرب في ادب العرب

تاليف الدكتور زكي المحاسني ــ ٢٤٠ صفحة ــ منشورات دار المعارف بمصر ــ مطابع دار المعارف بمصر القاهرة

كتاب كبير الحجم والفائدة ، يقع في اربعين وثلثمائة صفحة من القطع الواسع والحرف الدقيق ، وموضوعه شعر الحرب في ادب العرب في العصرين الاموي والعباسي الى عهد سيف الدولة ، ولكن المؤلف الفاضل لم يهمل شيئا يتصل بهذا الموضوع من ايام الجاهلية بالمقدار الذي يقتضيه المقام وتتسع له الصفحات ، ولم يهمل خبر الملاحم وقصائد الحماسة في اشعار الامم غير العربية ، مستطردا مع ذكر الغزوات وما ينظم فيها من المفاخر او يدور عليها من الاحاديث والاساطير .

وقد اعتمد المؤلف على ذوق الاديب وتمحيص العالم فيما اختاره من القصائد والمقطوعات ، وفي المقابلة بينها ووجوه المشابهة والمخالفة منها ، على حسب المشابهة او المخالفة في احوال العصور وملكات الشعراء واساليب الشعر من جانبه الفني ومن جانبه المتصل بالاخلاق والحوادث، فجاء الكتاب زبدة منتقاة وذخيرة ممتعة تجمع للقارىء ما تفرق بين مئات المراجع ، وتزيد عليه ما ليس يوجد في تلك المراجع من تعليقات النقاد ومواضع الاستدراك التي يهتدي اليها الباحث والمؤرخ ويودعها خلاصة تفكيره وملاحظته في هذا الموضوع . وقد تتساوى فصول الكتاب في حسن الاختيار وحسن التعليق ، ولكن القارىء الذي يقابل بين فصوله لا يسعه ان يجري على سنة المساواة في هواه لبعضها او محاباته لبعض شعرائها وقصائدها ، واخطرها على ملكة العدل في القارىء العربي تلك الصفحات التي كتبت عن الدولة الحمدانية وبرز من بين اسمائها اسم ابي الطيب وابي فراس ، كما برزت من بين عواطفها عواطف الابطال والامهات والبنين والبنات فيما تداوله العرب والروم من مواقع القتال ومواقف الاسر والفداء ، فان هذه الصفحات احرى ان تسمى « ملحمة » شعرية يؤلفها القارىء في ذهنه ويتممها بخياله ، ويملأ بها فراغ الملاحم التي كثرت في الاداب الاعجمية وقلت في الاداب العربية ، وما كان لقلتها من سبب غير اختلاف الاوان وتاخر الميعاد .

ولا نطيل التمثيل لمحاسن الكتاب ، فان الامر يلجئنا الى الاختيار وليس اصعب منه في كتاب هو نفسه قائم على الاختيار ، او على حسن الاختيار، وقدرة مؤلفه على احسان اختياره مكفولة بما تيسر له من سعة المادة وما توفر عليه من سعة الاطلاع . فخير ما يوفى به حقه من الاستحسان هو ان يوفيه القارىء حقه من المطالعة وانعام النظر والمشاركة في التعليق والاستدراك .

ومن اجل هذا نكتفي بهذا القدر من التقريظ المجمل ولا نطرق باب التفصيل الا للاشارة الى ملاحظة هنا وملاحظة هناك ، نحسبها من هوامش البحث وحواشيه، ولا نعدها من مآخذ الموضوع في جوهره ، وهو موضوع الشعر العربي في اوصاف الحرب او اغراض الحماسة ، مع توسيع معناها كما وسعه الاقدمون .

نلاحظ ان الاستاذ المؤلف يقرر بعض الاراء في المسائل العامة، وهي ــ قبل تقريرها ــ تحتاج الى مراجعة وتامل ، لانها على الاقل موضوع شك كبير وخلاف كثير، ومنها رأيه في الحرب وغريزة الانسان ورأيه في الملحمة وسبب خلو الشعر العربي منها ، ورأيه فيما وصف به بعض الحيوان عرضا وهو متساوق مع التخيل والتشبيه .

يقول الاستاذ من تمهيده عن الملاحم والقصص الحربي: « ومن عجب ان يخلق الانسان وحب الحرب غريزة فيه منذ كان على الارض الى اليوم ».

فهل ثبت حقا ان الحرب غريزة في الانسان ؟ وماذا يلزم من ثبوت ذلك في مسالة كمسالة السلام العالمي والوحدة الانسانية ؟

لا يقال ان الانسان مطبوع على حب البقاء ، وان حب البقاء ، يقود الى تنازع البقاء ، وبقاء الاصلح .

نعم ، لا يقال هذا لانه قول يصدق على السباع كما يصدق على الحيوان الاليف ، وما من كائن على الارض يتنازع في بقائه الا قابل المنازعة بالمقاومة، ودافع في سبيل الحياة ــ او مجرد البقاء ــ جهد ما يستطيع من مدافعة ولكننا لا نقول ان الحرب غريزة فيه الا اذا كانت عملا لا ينقطع عنه بضرورة او لغير ضرورة ، وكانت حافزا على الهجوم ابدا ولم تكن وسيلة من وسائل الدفاع عند فقدان الامن او فقدان القوت الذي يحفظ قوام الحياة

ولقد اختلف علماء السلالات البشرية في طبيعة الانسان البدائي من هذه الناحية ، فقال الكثيرون منهم انه مخلوق مسالم وديع وان يكن حذرا من الطارىء الغريب لطول عهده باتقاء السباع والخوف من مفاجآتها بين الكهوف والغابات ، وقلما تطوع الانسان البدائي للمشاكسة والعدوان الا ان يفقد الامن ويستحضر التهديد من الطارئين عليه .

وعندنا ان المسالة في هذا العصر على التخصيص أحوج الى التامل الطويل قبل البت في امر هذه الغريزة بالتقرير او بالانكار ، لاننا اذا فرغنا من اثبات غريزة الحرب للانسان فقد حكمنا بالعبث على مساعي السلام جميعا وبطل القول كله في قضية السلام العالمي والوحدة الانسانية .

ويرى الدكتور المحاسني ان القافية الواحدة كانت سببا لخلو الشعر العربي من الملحمة ويقول : « لعل حبهم للقافية الواحدة يجري عليها روي القصيدة زهدهم في الملحمة اذ كانت تقتضي الاف الابيات . ومن لهم بروي واحد يجري به الكلام الفا في لغة العرب او في اية لغة ؟ »

وقال قبل ذلك : « ان كل شعر طال او قصر ، وقد وصفت فيه المعارك، وسردت فيه اخبار البطولة ورويت فيه ملاحمات الجلاد ، هو من شعر الملاحم . »

ونقول ان مصدر اللبس كله من كلمة « الملحمة » ... لانها توحي الى الخاطر ان العنصر الاول في هذا الشعر (Epic) هو حوادث الحرب والمناجزة ، وليس هو كذلك كما يعلم المؤلف الفاضل وكما ذكر في كلامه عن هذه الاشعار عند الامم الاعجمية .

والحقيقة ان العنصر الاول في هذه الاشعار انما هو عنصر « البطولة الخارقة » التي تفوق طاقة الانسان ، ويكثر في هذا القصص ان يكون الاناس الموصوفون بها أقرب الى خلائق ما فوق الطبيعة ، مختلطين في القدم بين اخبار التاريخ ونوادر الاساطير ، وكلهم يحاربون قوما اخرين غير قومهم ولا تنحصر حروبهم بين قبيلة وقبيلة من امة واحدة ، ويغلب على هذه الاشعار ان تكون من المأثورات او المرددات التي تداولتها اجيال الامم اعقابا عن اسلاف ، وحفظتها الالسنة بالرواية قبل عصور الكتابة بزمن بعيد .

وقد تتوافر هذه الخصائص جميعا في الملحمة الواحدة ، ولكنها لا تتجرد منها جميعا والا انتقلت من شعر الـ « ابيك Epic » الى ضروب

الشعر الاخرى بين غنائية وقصصية . فليس وصف الحرب وحده بصالح لتكوين « الملحمة » باهم عناصرها .

ومتى عرفت « الملحمة » على هذه الصفة فقد زالت مشكلتها في الاداب العربية .

لمَ لم توجد « الملاحم » عند العرب الاقدمين ؟ لم لم ينظم شعراؤهم في هذا الموضوع ؟

ان السبب بسيط قريب :

ان الموضوع نفسه لم يوجد عند العرب فلم ينظموا فيه .

ولو كانت القافية هي الحائل دون نظمه ، لوجدت القصة المطولة منثورة بغير حاجة الى الوزن او القافية ، ولكن الموضوع كله لم يوجد لاسباب شتى ليس المقام هنا محل تفصيلها ، فلم تنظم فيه قصيدة ولم تحفظ له رواية ، ولم تكن للامر علاقة بنقص في طبيعة الفن ولا بقصور في ملكات الشعر .

ولهذا وجدت الملحمة ببعض خصائصها وأجزائها حين وجد الموضوع ببعض خصائصه وأجزائه :

وجدت ملحمة « النبي أيوب » ووجدت ملاحم الزير سالم وعنترة بن شداد وغزوات بني هلال والظاهر بيبرس وذات الهمة وسيف بن ذي يزن وغيرها من اشباهها ونظائرها ، يتوافر لبعضها شرط البطولة الخارقة او شرط الاساطير وما بعد الطبيعة ، او شرط المحاربة مع الاقوام الغريبة، او شرط الرواية الشفوية ، ولكنها لم تجمع هذه الشروط في واحدة منها ، ولو انها جمعتها لوجدت معها « الملحمة » كاملة كاحسن ما نظم هوميروس او روى ، ولم يقل احد انه نقص في الشعر او قصور من الشعراء .

اما الملاحظة الاخيرة التي نوردها في هذا المقال فهي أقرب الى التاريخ الطبيعي منها الى تاريخ الادب او تاريخ الحرب والحماسة ، ولكننا نحاسب المؤلف الفاضل عليها لاننا ندين الاديب بالواجب العلمي كما ندينه بالواجب الادبي ، ولان مؤلف الكتاب خاصة كان خليقا ان يعلم الصواب في أمر هذه الملاحظة لو رجع الى قصيدة من قصائد صديقه المتنبي التي كثرت شواهده منها على صفحات كتابه .

وتلك هي ملاحظتنا على وصفه النسر حيث يقول : « ما أشبه النسر بالبطل . فلقد كان النسر رمزا للبأس والقوة ، ويموت النسر فيتحامل على نفسه جبار الجناحين معكوف المنسر ، منثور المخلب ، وكذلك يموت البطل ... »

ان الاشتباه هنا بين النسر والعقاب قد لحق بالباحث الاديب كما لحق بالمتحدثين عن النسر على الشهرة والسماع ، ممن يتبرعون له باكثر الصفات التي تنفرد بها العقاب او تكاد .

واول أخطائهم ان النسر قوي المخالب وهو مخلوق بغير مخالب كما قال ابو الطيب :

تفدى اتم الطير عمرا سلاحه نسور الفلا أحداثها والقشاعم
وما ضرها خلق بغير مخالب وقد خلقت اسيافه والقوائم

وفي معجم الحيوان ان النسر « طائر من سباع الطير لكنه ليس من عتاقها اي جوارحها بل يقع على الجيف وقلما يصيد .. ولا مخالب له بل أظفار . ولا يقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته . كما تفعل العقاب بمخالبها ، وهو الطائر المعروف بالنسر عند العرب من عهد جاهليتهم الى يومنا . ويعرف بهذا الاسم عند المتكلمين بالعربية من المغرب الاقصى الى العراق ، ومن الشام شمالا الى اليمن والسودان جنوبا ، وليس النسر الرخمة الصفراء ولا الشوحة في الشام . »

ونختم المقال باعادة الثناء على مجهود الباحث المؤرخ الاديب : ثناء لا تغض منه هذه السهوة في سبيل تعظيم البطولة ، ولا تلك الملاحظات التي عرضت للموضوع على هامشه . ولم تمسه في جوهره الاصيل .

القاهرة — عباس محمود العقاد



● حضارة عصر النهضة – تاليف جيمس وستفال تومسون ، جورج راولي ، فرديناند سكيفل ، وجورج مارتون – ترجمة الدكتور عبد الرحمن زكي – ١٩٢ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة – مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● النساء في الادب – دي سيفيني ، شارلوت برونتي ، ستراشي ، ابسن ، وِمل – ترجمة جلال مظهر – تقديم وتعريف عباس محمود العقاد – ١٤٤ صفحة – الكتاب ٤ في سلسلة « حول مائدة المعرفة » – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) – مطبعة مصر (؟)

● صنع النماذج والسباكة – تاليف روبرت سميث ووالتر بيور – ترجمة الدكتور محمد زكي منير – مراجعة الدكتور علي حسن محمد – ١٥٢ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) – مطبعة مصر (؟)

● الديك شانتيكلير والثعلب – مقتبسة من قصص كانتر بري لجيوفري تشوسر – ترجمة ماري عبد الشهيد – مراجعة الدكتور محمد علي العريان – اعداد وتوضيح باربارا كوني – ٣٤ صفحة مصورة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر (؟)

● الرجل الذي حضر للعشاء – مسرحية فكاهية – تاليف جورج كوفمان وموس هارت – ترجمة السيد حامد زعلوك – تقديم الدكتور محمد يوسف نجم – ١٦٠ صفحة – الكتاب ١٣ في سلسلة « من ادب المسرح » – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) – مطبعة مصر (؟)

● نذير الامواج – مجموعة شعرية – ممدوح مولود – تقديم الدكتور ممدوح حقي – ٢٠٠ صفحة – مع عدة صور – المطبعة الشرقيـة في حلب .

● الارغن – حسين عفيف – ١٦٢ صفحة – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بمصر .

● ادب ونقد – تاليف جان زكي ساله – ١٦٨ صفحة – منشورات دار الروائع في بيروت – [لم يذكر اسم المطبعة]

● المائة السنة القادمة – تاليف هاريسون براون وجيمس بونر وجون وير – ترجمة وتقديم الدكتور يوسف صلاح الدين نامق – مصمم الغلاف محمد محمد المغربي – ٢٢٤ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر (؟)

● رحلة في عالم النور : قصة تعليم المكفوفين – تاليف اشبل روس – ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس – مصمم الغلاف طلعت المصري – ٣٦٤ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعرفة (؟) – مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (؟)

● التعاون الدولي وتنظيمه – تاليف جوزيف تشمبرلين – ترجمة وتصدير الدكتور عبد الله العريان – مصمم الغلاف محمد محمد المغربي – ٣٠٤ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعرفة (؟) – مطبعة مصر (؟)

● الحمى الصفراء ، مسرحية تاريخية – تاليف سدني هوارد وبول دي كرويف – ترجمة حازم علي فوده – مراجعة وتقديم الدكتور عبد القادر القط – ١٦٠ صفحة – الكتاب ١٤ في سلسلة « من ادب المسرح » – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) – مطبعة مصر بالقاهرة .

● الارض التي نعيش عليها : قصة الاكتشافات الجيولوجية – تاليف روث مور – ترجمة اسماعيل حقي – مراجعة وتقديم الدكتور وفيق الخشاب والدكتور محمد رشيد الفيل – ٤٢٦ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بغداد نيويورك – منشورات قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد – مطابع دار القلم بالقاهرة.

● توماس جفرسن ابو الديمقراطية – تاليف فنسنت شيان – ترجمة الزعيم الركن المتقاعد جاسم محمد – مراجعة وتقديم بدر شاكر السياب – ١٣٦ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بغداد نيويورك – دار منشورات البصري ببغداد – مطبعة دار منشورات البصري ببغداد.

● المسرحية الامريكية الحديثة – تاليف الان س. داونر – ترجمة الدكتور عبد الرحمن ياغي – ٨٠ صفحة – حجم صغير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بيروت نيويورك – منشورات المكتبة الاهلية ببيروت – مطبعة نمنم (؟)

● L'Obligation d'Ordonner le Bien et d'Interdire le Mal — (livre XIX — Vol. II — de l'Ihyâ' 'ulûm al-din) — par Al Ghazali — Traduction Française par Léon Bercher — 100 pages — gd. f. — Publications de l'Institut des Belles Lettres Arabes, Tunis — Imprimerie N. Bascone & S. Muscat, Tunis.

● Pre-Trig : an Easy Introduction to Trigonometry — by Rudolph M. McShane — 64 pages — published by Astro Computing Books, Washington.

● John Kennedy — a Political Profil — by James MacGregor Burns — Illustrated — 288 pages — Avon Book Division, New York.

● The Great Rehearsal — by Carl Van Doren — 128 pages — Popular Library Inc., New York.

● Heaven Knows Mr. Allison — by Charles Shaw — adapted by Virginia French Allen — 128 pages — Popular Library Inc., New York.

● The Autocrat of the Breakfast Table — by Oliver Wendell Holmes — 224 pages — Popular Library Inc., New York.

● July 4, 1776 — by Donald Barr Chidsey — 144 pages — Popular Library Inc., New York.

● The Ordeal of Woodrow Wilson — by Herbert Hoover — 318 pages — Popular Library Inc., New York.

وبانهما تنتميان الى مجموعة المواد الكيماوية المعروفة بانها من فئة الذرات ذات الشحنات الكهربائية الطليقة ولهما بالاضافة الى عظيم فائدتهما في الابحاث العلمية الاساسية ، بوصفهما مادتين جديدتين ، اهمية عملية وتطبيقية .

واللون الارجواني العضوي الحيواني الصوري هو مزيج من اللونين القرمزي والبنفسجي لم يعرف له العالم القديم مثيلا بين الالوان العضوية النباتية التي كان يستعملها وكان من اشهر الصباغات في العالم لجماله ولثباته . وقد برع الفينيقيون في استخراجه من الاصداف الحلزونية المعروفة (مريق الترونكولوس) التي تركب هذه الصبغ في غدة صغيرة داخل الصدفة ، واقاموا مصانع لهذه المادة النادرة على الساحل وخاصة في صور وصيدا وان من يزور صيدا في ايامنا هذه يجد هضبة ارتفاعها ١٥. قدما مؤلفة كلها من بقايا اصداف المريق وقد كسرت من جانبها العلوي لاستخراج الصبغة منها .

وقد توصل علماء الجامعة الاميركية الى اكتشاف طيف الارجوان الصوري . وثبت من دراسة هذا الطيف ان الصبغ الارجواني الفينيقي مشابه لصبغة ٦٦ - دبرومو - انديغو التي كان اول من ركبها العالمان الالمانيان ساش وكيميف . وبالكشف عن سر الارجوان الصوري الذي كان يتمنع تمنعا شديدا على الاجهزة العلمية الحديثة التي تحاول النفوذ الى سره ازاح علماء الجامعة النقاب ، بواسطة التحليل المغنطيسي ، عن خواص جزئيات مختلف الاصبغة ، وهو عمل جديد تماما ، وسجلوا بذلك تحولا له قيمة كبرى في نظريات الالوان القوية الموجودة في الصباغات التجارية .

وقد ساعد اساتذة الجامعة الثلاثة ، وهم هولنديون ، في جمع بعض المعلومات المتعلقة بالموضوع خريجان من الجامعة هما الانسة اليزابيت اثاناسو وهي لبنانية ، ديمتريوس ادجوبولوس وهو يوناني . وقام باستخراج الاصداف الحلزونية من قاع البحر قرب مسبح الجامعة وفاء عساف، وهو أحد خريجي الجامعة .

وقد اعتمدت دائرة الفيزياء في الجامعة الاميركية في تمويل بحثها على مساعدة هيئة الابحاث الاميركية ومؤسسة روكفلر ومؤسسة العلوم الوطنية . واستخدم العلماء في بحثهم الالات الالكترونية التي قدمتها حكومة الولايات المتحدة الى لبنان سنة ١٩٦٠ ووضعتها في الجامعة الاميركية للحفاظ عليها، وللاستفادة منها في حقل التجارب العلمية .

في كلمات ...

● اعلن مركز سلون كيترنغ لابحاث السرطان في نيويورك ان حوالي ثلث المصابين بالسرطان قد شفوا وان النسبة قد ترتفع قريبا . وقال المركز ان في الامكان شفاء حوالي نصف المصابين بوسائل علاجية مقبولة شريطة ان يتم التشخيص والمعالجة بصورة فعالة . وذكر ان نسبة الشفاء تقارب حوالي ٢٣ بالمئة في الوقت الحاضر .

● الاجسام السليمة تطرد الخلايا السرطانية التي تحقن فيها خلال اربعة اسابيع ، وتكتسب المناعة ضدها لمدة ١٥ شهرا ، وفقا للبحوث التي اجراها الدكتور شستر سوثهام على ١٧١ من نزلاء سجن ولاية اوهيو الذين تعرض كل منهم للحقن بنحو ٥ ملايين خلية سرطانية حية ولكن واحدا منهم لم يصب بالمرض . وقال الدكتور سوثهام ان الغرض من التجربة هو دراسة جهاز المناعة وكيف يحصن الجسم ضد السرطان والعوامل التي تؤدي الى تخفيف الاصابة بهذا المرض وغيرها من المسائل الطبية التي يحاول العلم فهمها .

● أعلن معهد السرطان في استراليا اليوم تكنيكا جديدا قد يعطي بارقة امل جديدة لبعض المصابين بالسرطان . فقد اصدر مجلس اطباء المعهد بيانا يقول ان الاوكسجين حسب التكنيك الجديد يشمل « وضع المريض تحت ضغط في جو من الاوكسجين الصافي قبل ضرب خلايا النمو السرطاني بسيل من الاشعة السينية ذات سرعة كبيرة من جهاز للسرعة ذي زوايا طولية . » واضاف البيان ان الطريقة الجديدة التي يتبعها الدكتور فان دين برنك وزملاؤه في مستشفى بيتر مكولم في ملبورن تقوم على اساس ان معظم خلايا النمو السرطاني خالية من الاوكسجين وهي لذلك تقاوم الاشعاع . « وفي اثناء نمو الخلايا السرطانية تزداد الاوعية الدموية انقباضا بحيث يهبط مستوى الاوكسجين في تلك المنطقة . ولكن عملية الضغط تدفع الاوكسجين بقوة الى الاجزاء الماصة » .

● اعلن البحاث في اجتماع لكلية الجراحين الاميركية : ان تشعيع الورم السرطاني بالاشعة السينية يؤخر الى حد بعيد انفصال تزايد وانتشار الخلايا السرطانية . اثبتوا ذلك في الفئران وهي لا تمنع الانتشار فقط ، بل هي كذلك تقف بالورم السرطاني فلا يتزايد .

● توصلت عالمة اميركية في مختبر جاكسون التذكاري الى اكتشاف قد يكون له اثر بعيد في معالجة السرطان . فقد اكتشفت الدكتورة تشاريني ويمات محلولا كيماويا يساعد على اطالة عمر الخلايا الحيوانية في انبوب الاختبار . ويتيح هذا الاكتشاف الفرصة امام العلماء لانماء الخلايا بعد وجبات الطعام مما يسمح باجراء التجارب لفحص تأثير الادوية المختلفة وتغيير الاطعمة على نمو الخلايا ويأمل العلماء ان يتمكنوا نتيجة لهذه التجارب من معرفة ما اذا كان بامكانهم وقف نمو خلايا السرطان او اتلافها .

● اعلن علماء جامعة نونتغهام البريطانية حدوث تقدم جديد اخر في ابحاث السرطان. فقد اظهرت التجارب التي اجريت في دائرة وحدة الابحاث ان بعض العناصر المستخدمة في زيوت السيارات تسبب السرطان في الحيوانات ويجب اعتبارها « مضرة للجنس البشري » . وقد ادلى الدكتور د. و. بولدوين رئيس هذه الوحدة بتصريح قال فيه : « ان هذا النوع من الابحاث مستمر ، اذ انه يعتبر في الوقت الحاضر اقرب طريق ممكن للابحاث السرطانية الوقائية » .

● توصلت مختبرات ويلكوم البريطانية الى صنع عقار جديد ضد الجدري . وقد وجد ان العقار فعال بالنسبة الى الفئران والجرذان لكنه عديم الفعالية بالنسبة للانسان . بيد ان ناطقا باسم وزارة الصحة البريطانية قال انه لا يزال في مرحلة الاختبار لذلك لا يزال امام العلماء متسع لمعرفة قيمته الطبية بالنسبة للانسان بالاضافة الى ان التجارب المختبرية كانت مشجعة حتى الان . وتحدث ناطق باسم مختبرات ويلكوم المختصة بدراسة امراض البلدان الحارة فقال : يفعل العقار فعله في الفيروس بصورة مباشرة لهذا يمكن استعماله كعلاج شاف في حالات الجدري الشديدة والاصابات الخطرة لتحقيق الشفاء بعد حدوث الداء أي اعطاؤه الى المصاب بالجدري . وكذلك بالامكان اعطاؤه ايضا الى الاشخاص الذين هم على اتصال مباشر بالمرضى الذين يعالجونهم او يعيشون واياهم تحت سقف واحد .

● توصل علماء جامعة برمنغهام الى اكتشاف وسيلة طريقة لاستخراج سم النحل دون سحق النحل وقتله كما كان ذلك يجري سابقا من اجل معالجة بعض انواع امراض الروماتيزم التي تصيب المفاصل وتعرف بداء المفاصل . ويقول هؤلاء العلماء ان لسم النحل فعلا كبيرا على السائل الذي يتكون في الركبتين ومفاصل الذراعين والفخذين .

● يبحث بعض الاطباء في الولايات المتحدة فائدة استخدام العقاقير الطبية المضادة لمرض السكر ، والتي تؤخذ عن طريق الفم ، في حماية مرضى السكر من الاضطرابات القلبية. وقال الدكتور هيو ماكدونالد بولاية شيكاغو

في تقرير قدمه اخيرا الى الجمعية الكيماوية الاميركية ان التجارب قد دلت على ان العقاقير الطبية المضادة للسكر التي تؤخذ عن طريق الفم تخفض نسبة الكولسترول في كبد الفار. واضاف الى ذلك ان بعض الاطباء يعتقدون ان نسبة الكولسترول المرتفعة في الدم هي التي تسبب الاصابة بتصلب الشرايين . وقال ايضا ان التثبت نهائيا من ان العقاقير المضادة لمرض السكر والتي تؤخذ عن طريق الفم لخفض نسبة الكولسترول لدى المصابين بالسكر وتحميهم من الاصابة بتصلب الشرايين، يحتاج لمزيد من التجارب .

● منذ ١٤ سنة وفريق من الباحثين في سولزبوري بغرب انكلترا يحاول تحديد الفيروسات التي تسبب الزكام وعزلها . وقد تم تحديد وعزل ستة انواع من الفيروسات ، وتامل الان ثلاث شركات بريطانية لصنع الادوية في انتاج اول لقاح في العالم ضد الزكام . فاذا ما نجحت هذه الشركات في ذلك ، فان البلاد ستوفر على نفسها ملايين من ايام العمل التي تذهب الان هدرا بسبب اصابة الناس بالزكام .

● يفيد نبا من مدينة ميونيخ انه قد امكن للمرة الاولى اجراء جراحة لاحد المصابين بمرض « الهيموفيليا » أي الذين لا يتخثر دمهم عند اصابتهم بجرح ما ويتعرضون لخطر النزيف والموت . فقد قام الاطباء اثناء اجراء الجراحة لهذا المريض بحقنه بالعقاقير التي تعمل على تخثر الدم اثناء الجراحة وبعدها، وقد برا المريض تماما . وتعتبر هذه الجراحة ذات أهمية كبيرة اذا ما عرف بانه يوجد بين كل ١٢ الف شخص رجل واحد مصاب بهذا المرض . والعلاج المستخدم ضد الهيموفيليا هو نوع معقد من انواع الزلال تقوم بانتاجه مصانع بيرنج الالمانية ويسمى « انتيهيموفيل جلوبولين » ويحفظ هذا العلاج داخل « انبولات » على شكل مسحوق جاف ويمكن الاحتفاظ به لمدة طويلة ، غير ان ثمنه يعتبر مرتفعا للغاية .

● ظهرت في المستشفيات البريطانية بخاخة تزيل آلام الحصوة والحيض والظهر في دقائق. وهي تحوى مادة اسمها – فلوميثنز – ترش على الجزء المتالم لمدة خمس ثوان ، فتزول الالام في دقائق ، فاذا لم يتوقف الالم اعيد بخ المادة مرة ثانية بعد نصف دقيقة .

● تمت اكتشافات جديدة فيما يتعلق بخصائص الوراثة في الكائنات البشرية وغيرها من الاحياء ، أي في الخصائص القائمة في الذرة الحية التي تستطيع ان تتوالد بشكل يكون ذرات حية كنسخة طبق الاصل عن الذرة الام . ولقد نشر مجلس رابطة العلماء البريطانيين في مختبرات كمبردج بالاشتراك مع مجلس رابطة العلماء الاميركيين في معهد الصحة الوطني في الولايات المتحدة تقريرا مشتركا عن هذا الاكتشاف ، جاء فيه ان العلماء المذكورين توصلوا الى معرفة اسرار عديدة عن خصائص الوراثة ويأملون التوصل قريبا الى كشف النقاب عن هذه المعميات الغامضة . اي كيفية استطاعة الذرة الحية ان تولد ذرات شبيهة بنفسها وتحتوي على جميع خصائص الذرة الام .

● تم في اميركا تطوير جهاز الكتروني يستطيع تسجيل ١٢ نوعا من المعلومات عن قلب الانسان ، ويمكن نقله بسهولة من شخص لاخر في المستشفى ، ويجري الان اختباره في المدرسة الطبية بجامعة كاليفورنيا ويؤمل ان يساعد في الكشف عن امراض القلب بصورة مبكرة افضل من الوسائل الاخرى المتوفرة الان . وقد قامت شركة تليكومبيوتنغ بتصميم وصنع الجهاز ، وهو يسمى جهاز تحليل وظيفة القلب .

● نشرت وزارة المستعمرات تقريرا سنويا عن ابحاث اجريت في المستعمرات جاء فيه ان نوعا غريبا من داء المفاصل اجتاح المناطق الشرقية في افريقيا واصيب به اكثر من مليون شخص . وقال التقرير ان هذا الداء قد انتشر كوباء في اوغندا في فبراير سنة ١٩٥٩ . وذكر الدكتور هادو مدير مختبر ابحاث الفيروس في اوغندا ان الداء اجتاح اوغندا في جبهة واسعة وعبر الى كينيا . وقد وقعت حوالي مليون اصابة بهذا الداء حتى الآن غير انه لم تحدث اية وفيات نتيجة له . ومن اعراض المرض ارتفاع في درجة الحرارة ترافقه الام حادة في المفاصل وورم في الغدد .

● من الممكن ان تقوم الحيوانات بنقل الامراض الخطرة لبني الانسان ، فقد تبين من البحوث العلمية بانه لا يوجد هناك سوى العدد القليل من امراض الحيوان التي لا تنتقل بطريق العدوى الى الانسان . وقد جاء هذا الخبر مقلقا للذين حضروا مؤتمر الاطباء البيطريين اخيرا في مدينة « باد فيلدونجن » . اذ تبين الخطر الكبير الذي يتعرض له من يقوم بتربية الحيوانات . لوحظ قبل ١٥ عاما ان رعاة الغنم في اوربا الوسطى كانوا يصابون فجاة بمرض غريب ، بالرغم من انهم كانوا يمارسون مهنتهم هذه مدة سنين طويلة دون ان يصيبهم أي مرض من هذا النوع . وبعد البحث والتدقيق ، تبين ان هذا المرض قد انتقل الى اوربا الوسطى من جنوب شرقي اوربا عقب الحرب العالمية الاخيرة . فقد نزح الكثيرون من الناس من هناك مع قطعانهم خلال تلك المدة الى شمال نهر الدانوب للبحث عن مراع جديدة خصبة . وقد انتقلت الى اوربا الوسطى الحمى المعروفة « بالحمى المالطية » عن طريق الاغنام ايضا واخذت تنتقل الى بني الانسان. وقد صرح العلامة «شوب» الاخصائي بامراض الحيوان من جامعة فرانكفورت قائلا : « ان انواع الامراض التي تنتقل من الحيوان الى البشر ، كثيرة لدرجة يصعب حصرها حتى على الاخصائيين بعلم الحيوان . واغلب هذه الامراض التي تنتقل عدواها الى الانسان هي مرض السل والمرض المسمى بـ «البروسلوز» الذي يحدث الالتهابات المزمنة لدى الابقار والاغنام واقل هذه الامراض انتشارا هو مرض « الجمرة الخبيثة » ووباء « الطير » وغيرهما من الامراض المعدية التي يجهل مصدرها عند ظهورها لدى الانسان» . واضاف احد العلماء الى ذلك قائلا ان سدس الاطباء البيطريين قد لحقتهم عدوى مثل هذه الامراض خلال العشرة اعوام الاخيرة . وقد تقرر تخصيص محاضرات في كليات طب الحيوان الالمانية لتنبيه الطلاب الى هذه الاخطار اثناء ممارستهم مهنتهم في المستقبل، ولهذا اهمية كبيرة للاطباء البيطريين في الشرق ايضا .

● قررت الحكومة الفرنسية جعل التطعيم ضد شلل الاطفال لجميع القاصرين اجباريا .

● اكتشف الدكتور اودري سميث ، من مؤسسة الابحاث الوطنية في لندن ، بطريق المصادفة تقريبا ، مادة كيماوية مثالية لوقاية المادة العضوية الحية اثناء اختزان الاشياء بواسطة التجليد . قد تبين للدكتور سميث ان سائلا عاديا معروفا اسمه ديميثيل سلفوكسايد مفيد له في بحثه وتجاربه الجديدة ، ووجد ان السائل يحفظ الاعضاء ، لا بل حيوانات بكاملها ، في اثناء عملية التجليد الشديد دون تعريض خلاياها الحية للعطب ودون التدخل في الاوعية الدموية. واظهرت احدى التجارب ان قلبا صحيا جلد على درجة ١٠ مئوية تحت الصفر عاد ينبض تلقائيا حال زوال الجليد عنه . ومن شان هذا الاكتشاف ان يعين في الاحتفاظ « باعضاء غيار للانسان » لحين الحاجة . ولكن قبل ان يصبح في مقدور الجراحين استبدال القلوب والكلى والاكباد المعطوبة باخرى جديدة ، لا بد من التقدم في فن جراحة نقل مثل هذه الاعضاء وزرعها من جديد . ولم ينجح الجراحون حتى الان الا في نقل الاعضاء من شخص وزرعها في اخر بين التوائم فقط .

● توصلت شركة اسوجية للمواد الصيدلية الى صنع عجيبة تطير نشوة الخمر من رؤوس السكارى وتصلح لمكافحة ادمان المسكرات . والحبوب المذكورة مصنوعة من حامض ماخوذ

من الملفوف والقمح وخاصتها انها تحول الكحول في الجسم البشري فورا الى رواسب عضوية وبذلك تعيد الشارب الى حالته الطبيعية مهما يكن قد افرط في الشراب .

● نشرت المجلة الطبية البريطانية ما يعتقد انه اول حادث من نوعه في تاريخ الطب البريطاني لاعادة الحياة الى طفل ولد ميتا عن طريق عملية تدليك القلب . وقالت المجلة ان طبيبين في مستشفى الملكة اليزابيت في برمنغهام اعادا الحياة الى طفل كان قلبه قد توقف عن الخفقان مدة تتراوح بين خمس دقائق و١٥ دقيقة . وعندما توقف قلب الطفل شق الطبيبان الصدر واخذا في تدليك القلب . وفي غضون دقيقتين بدأ ينبض مرة اخرى . وقال الطبيبان ان الطفل في الشهر التاسع من عمره الان وانه في حالة طبيعية وصحة ممتازة . كما ان ذكاءه يوازي ذكاء أي طفل اخر في شهره الحادي عشر .

● تم ارسال عينات من البعوض من مدرسة امراض البلدان الحارة في لندن الى الولايات المتحدة وسويسرا لاجراء تجارب علمية تستهدف معرفة وسائل القضاء على البعوض في الطائرات بغية الحؤول دون انتقال داء الملاريا من بلد الى آخر بواسطة النقل الجوي . ويعيش هذا البعوض في المدرسة البريطانية المذكورة في حرارة تعادل حرارة بلدان افريقيا الغربية . وستحاول المعاهد المختصة في اميركا وسويسرا ولندن رش الاجواء الداخلية للطائرات بعد اغلاق ابوابها، بالمادة اللازمة لابادة البعوض الناقل للملاريا كيلا ينقلها من بلد موبوء الى بلد سليم .

● اعلنت وزارة الزراعة الاميركية عن تطوير مادة كيماوية تضاف الى محلول زراعي بحيث تلتصق بعد ذلك بالنباتات وتكافح امراضها . وقد وجد علماء مركز الابحاث الزراعية في بلتزفيل بولاية ماريلاند ان المركب الكيماوي « ديوكتيل صوديوم سالفوسوكسينيت » خفف الى حد كبير من نمو آفات الفاصوليا . وتجري الان تجارب اخرى لمعرفة ما اذا كان بالامكان وقف نمو المزيد من الامراض . ويقول العلماء انه لا يعرف بعد كيف يستطيع المركب الكيماوي مكافحة الفيروس غير ان فعاليته متصلة اتصالا وثيقا بقدرته على تخفيف تمدد المياه التي على اوراق النبات وهو شديد الفعالية ضد الميكروبات التي تهاجم التبغ والفاصوليا .

● ابتكرت احدى الشركات الاميركية مركبا معدنيا له خواص مغناطيسية فريدة من نوعها . والمأمول ان يمكن هذا المركب العلماء من القيام بدراسات للتركيب الذري لم تكن ممكنة من قبل وقد يؤدي الى الحصول على معلومات عن جزئيات ذرية لا يمكن رؤيتها باقوى مجهر . والمركب الذي ابتكرته الشركة هو « كروسيوم منجنيز انتيمونيد » وهو مركب غير مغناطيسي بطبيعته ولكنه يصبح مغناطيسيا دائما عندما تتجاوز درجة حرارته نقطة معينة . ويمكن تحديد هذه النقطة مقدما بتغير نسبة الكروميوم . ونظرا لان مدى تمدد هذا المركب بالحرارة اكبر من مدى تمدد اي معدن اخر فان ذراته تستطيع ان تصطف بالطريقة المحكمة التي تسمح للقوى المغناطيسية الداخلية بأن تمارس نشاطها. وعندما تنخفض درجة الحرارة من النقطة التي سبق تحديدها تبطل الخاصية المغناطيسية ، ويمكن اعادتها برفع درجة حرارة المركب المعدني مرة اخرى.

● تم اكتشاف مناجم لليورانيوم قدرت بأنها تكفي حاجة سويسرا من الطاقة لمدة ٥٠ سنة وذلك بالقرب من مناجم الفحم في بيتش باواسط سويسرا . وقال الدكتور هرمان فولفل وهو عالم جيوليوجي ان اليورانيوم الذي عثر عليه يعتبر اكبر ما وجد من هذه المادة في سويسرا حتى الان .

● صنعت سلطات الطاقة الذرية معامل صغيرة جدا تستخدم قوة النشاط الاشعاعي في عدة مجالات وجربت ذلك خلال عامين . ولما كانت النتائج رائعة فقد صرحت لعدة شركات بريطانية صنع مثل هذه المعامل (المختبرات) وهنا لا بد من ذكر شيء عن

معمل نموذجي ذري من هذا الطراز يقوم في « فانتيج » من اعمال الجزر البريطانية وتبلغ قوته ٢٧٠ الف وحدة حرارية ذرية تعرف باسم « كوري » وتستمد القوة الاشعاعية الذرية في المعمل المذكور من معدن الكوبالت رقم ٦٠ وهو عنصر من العناصر المعروفة بالنظائر . والغاية من هذا المعمل هي تعقيم المعدات الطبية والدثارات في المستشفيات والادوات الاخرى العديدة فيها . وتستخدم مصانع السجاد في استراليا مثل هذه المعامل لتعقيم شعر الماعز المستخدم في هذه الصناعة لقتل جراثيم داء خاص يصيب الماعز . وسيتم انشاء معملين صغيرين من هذا الطراز الاول في ادنبره وستكون قوته الاشعاعية المستمدة من معدن الكوبالت رقم ٦٠ معادلة لخمسين كيلوغرام من الراديوم ، وتعتبر هذه القوة شيئا هائلا . كما ستكون قوة المعمل الثاني في « سلو » البريطانية ما يعادل ٢٥٠ كيلوغراما من الراديوم .

● اكتشف علماء الكيمياء الاحيائية العاملون في مختبرات جامعة كاليفورنيا الاشعاعية ان عنصر الخضيرين (كلوروبلاست) هذه المادة الدقيقة الموجودة في خلية النبات هو العامل الاقوى والانشط في عملية التاليف الضوئي كما ظن العلماء من قبل . وقد ثبت ان هذا الخضيرين هو « المعمل الكيميائي » الذي يحول في النبات العناصر الغذائية الى سكر ونشا ، وهو الذي يحول حوامض الاميتو الى مواد تدخل في تركيب عنصر البروتونات . وفي هذا السبيل يستعمل الخضيرين نور الشمس لتحول الماء وغاز الكربون والعناصر المعدنية الى مواد غذائية .

● تمكن عامل اميركي يعمل في احدى مصالح الجيش من ادخال تحسينات على مصباح كهربائي له من دقة الحجم بحيث يمكن ادخاله في ثقب الابرة . ومن المتوقع ان يستخدم مثل هذا المصباح في تركيب كثير من الحاسبات الالكترونية واجهزة الطيران والادوات الطبية الدقيقة .

● استطاعت شركة هيس غولد سميث للنسيج في الولايات المتحدة ادخال تحسين ثوري على صناعة البلاستيك عن طريق تطعيمه بالالياف الزجاجية . وقالت الشركة ان بعض الخبراء يقدرون ان هذه الالياف بصفتها عاملا مقويا زادت من فائدة البلاستيك بنسبة ٣٠٠ بالمائة . فعندما يجري دمج الالياف الزجاجية بمادة البلاستيك يؤلفان مادة اقوى من الفولاذ . وتقول الشركة ان وزن الياردة المربعة من البلاستيك المقوى يتراوح بين ٢٨ غراما وتسعةاعشار الكيلوغرام.

● انتجت احدى شركات النسيج البريطانية نوعين من اصباغ المنسوجات الصوفية يمتاز اولهما بان كسرة البنطلون الذي يصبغ قماشه به تكون حادة ودائمة فلا تزول حتى بالغسل على الناشف . كذلك يتحسن ملمس القماش ونوعه بصورة ملموسة ويصبح غسله اكثر سهولة . اما النوع الثاني فيعطي القماش بالاضافة الى هذه الميزات لمانا جذابا او نعومة خارقة تبقى في القماش بعد كيه وخياطته .

● تم مؤخرا ابتكار جهاز لمقياس تواتر التيار الكهربي . هذا الجهاز صنعه فريق برئاسة ف. كوفاليفسكايا نسيبة العالمة الروسية الشهيرة بمعهد الكهرميكانيك في اكاديمية العلوم السوفياتية في لينغراد . وهو يعوض عن طائفة من الادوات ويبسط العمل ويزيد الدقة. وسوف يستخدم الجهاز في المحطات الكهربائية وفي محطات الراديو والمختبرات العلمية .

● اقيم اخيرا بالقرب من مدينة برمنغهام في انكلترا ، عرض لسرعة البناء تمكن فيه فريق من ستة رجال اقامة بناء يتسع لمكاتب ٨٠ موظفا في مدة ساعة واحدة وعشرين دقيقة فقط . وكان هؤلاء الرجال يعرضون طريقة جديدة في البناء طورتها شركة ترايتين اللندنية . وتعتبر هذه الطريقة اسرع طريقة للبناء في العالم كله . ومما يذكر ان المسؤولين في الشركة يقولون ان الابنية التي تشاد بهذه الطريقة يمكن نقلها من موقع الى اخر دون ادنى ضرر .

● يقام الان معرض في لندن تعرض فيه الدائرة المختصة بشؤون الطيران والصناعة آلة تصوير فوتوغرافي تستطيع التقاط صور دقيقة لسير الصواريخ والاقمار الصناعية في مختلف مراحل سيرها .

● توصلت شركة بريطانية الى صنع نوع من السجاد يدوم طويلا وذلك بمزج خيوط الصوف بخيوط من النايلون بنسبة ٨٠ ٪ من الصوف و ٢٠ ٪ من النايلون . وهكذا يتم صنع سجاد متين يقاوم عوامل التلف .

● ابتكرت شركة بريطانية للافران طريقة جديدة للاسراع في تخمير عجينة الخبز في الافران الآلية . وتوفر هذه الطريقة الكثير من الوقت في انتظار الوصول الى درجة اختمار العجينة بصورة كلية ضرورية . كما اصبحت هذه العملية تتم من خلال انتقال العجينة من مرحلتها الاولى حتى مرحلة خبزها . وتخرج الارغفة المخبوزة بقشرة طرية ناضجة وتحتوي على معدل الرطوبة اللازمة مع مقاومتها الكبيرة للتعفن او اليباس .

● يستخدم الان احد مصانع الطائرات البريطانية نوعا من الفولاذ يستطيع احتمال ضغط مقداره ٣٠ طنا لكل بوصة مربعة من الفولاذ المستخدم في صناعة الطائرات . ويقوم المصنع بهذا العمل بموجب عقد من وزارة الطيران وهو يستخدم ثلاثة انواع خاصة من الفولاذ لتحديد الافضل منها . اما الغاية من ذلك فهي مجاراة الطلب المتواصل على المواد الصلبة التي تستطيع احتمال الضغط الشديد لاستخدامها في صنع الطائرات الحربية والمدنية .

● أعلنت شركة كرايسلر الامريكية للسيارات، انها ستعرض في السوق بعد عامين على الاكثر ، ٧٥ سيارة مزودة بمحركات نفاثة .

● تقوم الان مجموعة من الشركات البريطانية المنتجة للدهانات بتصدير انواع جديدة من هذه الدهانات ذات مزايا عديدة . فهي تحمي المعادن من الصدأ والتآكل . وتباع على شكل محلول واحد في علبة واحدة دون حاجة الى استخراج الدهان عن طريق مزج محلولين معا كما جرت العادة في السابق . وهذا الدهان لا يجف سريعا في العلبة بعد فتحها. وتحتوي هذه الدهانات على حامض يزيل الصدأ الخفيف من المعادن كما انه يكسو هذه المعادن بطبقة اكسيدية فوسفورية قوية تشكل اساسا مثاليا لدهانات الافلام .

● اكتشف العلماء الاميركيون اخيرا نجمة جديدة تختلف عن غيرها من النجوم المعروفة وتدعى ٣ سي — ٤٨ ، وهي نجمة صغيرة صفراء واقعة في برج المثلث ، والغريب فيها انها مجهزة بمصدر اشعاعي يبث موجات راديوية هي اقوى من الموجات التي تبثها الشمس بمئة مليون مرة . وقد تبين للعلماء الذين اكتشفوا هذه النجمة ان كمية من الالكترونات ذات القوة الكبيرة تدور حولها بسرعة تقارب سرعة الضوء . وان دوران هذه الالكترونات السريع يولد حقلا مغنطيسيا تتولد عنه هذه الاشعاعات القوية . وتبين ايضا ان الكوكب الجديد يبث اشعة فوق البنفسجية بكمية غير معهودة في نجمة صفراء ، بينما يدل طيفها الضوئي (وهذا امر غريب جدا) ان النجمة لا تحتوي على الهيدروجين .

● جاء في تقرير للخبراء البريطانيين الذين يقومون بالبحث عن المياه في منطقة القدس ، انهم عثروا على بحيرة كبيرة من المياه الجوفية العذبة في موقع عين الفشخة المجاورة للبحر الميت . وتقدر كمية المياه فيها بثمانين مليون متر مكعب وستكون هذه البحيرة مورد المياه الرئيسي لمدينة القدس ، بعد ان نجحت التجربة في العثور على المياه في هذه المنطقة .



دردشة مع البير اديب

اصدرت مجلة « الجمهور » البيروتية عددا ممتازا بمناسبة يوبيلها الفضي ، ساهم في تحريره بعض اصدقاء الفقيد ميشيل ابو شهلا مؤسس « الجمهور » . وقد نشرت تحت عنوان « دردشة مع البير اديب » ما يلي :

امضى المرحوم الاستاذ ميشال ابو شهلا حياته في مجتمعات فكرية. وتوصل ان يكون لنفسه صداقات حميمة مع اشخاص قرضوا الشعر وكتبوا في التاريخ وامتهنوا الصحافة ... والاستاذ البير اديب ، منشىء مجلة « الاديب » ، كان أحد اصدقائه المخلصين . وقد رافقه في جريدة المعرض وعصبة العشرة ، وله معه ذكريات طويلة . كما ان الاستاذ البير اديب يعتبر من ادباء العربية الذين لهم فضل كبير على تطور الادب الحديث ، وهو رائد الشعر الطلق في العالم العربي .

وها هو الاستاذ اديب يحدث قراء « الجمهور » عن ذكرياته مع مؤسس هذه المجلة ، وعن حركة الادب الحالية ونشاطات الاديب واثر الادب الكلاسيكي في حياة الكاتب الطالع وعملية الترجمات .

معرفتي به

استهل الاستاذ البير اديب حديثه بقوله :

– تعود معرفتي بالرفيق العزيز الفقيد ميشال ابو شهلا الى صيف عام ١٩٣٠ عندما جئت للاصطياف في لبنان ، وبقيت فيه ولم ابرحه .

فقد كانت مجلة « المعرض » ، عندما كان يصدرها ميشال زكور ، تنقل بصورة دائمة جميع القصائد التي كنت انشرها في مصر . وعندما اصبح ميشال ابو شهلا شريكا لزكور في المعرض ، والتفت حوله عصبة العشرة ، ووثبت المعرض وثبتها الادبية المعروفة، كنت وقتها في الخرطوم، فارسل الي المرحوم الشيخ فريد حبيش الذي كان يقيم في القاهرة بعض اعدادها لاطلع عليها بحلتها الجديدة . فأعجبت بهذه الحركة الادبية الطالعة ، وساهمت بالكتابة من الخرطوم .

وعندما جئت الى لبنان ، كما تقدم الذكر ، قصدت دار المعرض للسؤال عن الشيخ فؤاد حبيش ، ابن عم الشيخ فريد الذي اوصاني ان اتصل به ، وكان الشيخ فؤاد من عصبة العشرة ، ومن محرري المعرض، فقدمني الى المرحوم ميشال ابو شهلا ، والى رفيقيه في العصبة المرحوم الياس ابو شبكة والشيخ خليل تقي الدين ، هذه العصبة التي اسمها عصبة العشرة واما اعضاؤها فاربعة فقط .

وعندما قررت الاقامة في لبنان اخذت اعمل في صحافته ، وكانت « المعرض » مجالنا الادبي للتعبير . وقد نشرت فيها اكثر قصائدي الاولى . وتوطدت بيني وبين رئيس عصبة العشرة ، الذي كان ميشال ابو شهلا بالذات ، صداقة متينة بقيت قائمة صافية صفاء نفسه الطيبة الكريمة على مر الايام ، لا تشوبها شائبة ولا يعكرها معكر .

كنا رفقة نتلاقى مساء كل يوم في محل « شقير » في ساحة الشهداء، وعرف فيما بعد بمحل « فتوح » ، وهو الان محل اسلحة نهرا . فكان هذا المكان ملتقى اهل الادب والفكر والسياسة . ومن رواده الدائمين كان الفنان رأفت بحيري والشيخ صلاح المنذر ويوسف يزبك وعلي ناصر الدين وجان جلخ وسعيد صباغة وجبرائيل نصار والاخطل الصغير وابراهيم سليم النجار والشيخ اسعد المنذر وحنا غصن وياسر الادهمي وعبد الله قبرصي والمحامي ابراهيم الخوري والقاضي فيليب بولس واميل لحود وفؤاد صعب وعارف الغريب وسواهم مما لا تحضرني الان اسماؤهم. كما كان يتردد على هذا المحل الكثيرون بصورة غير منظمة امثال جبران التويني وسمعان زخريا واسعد عقل وخليل ابو جودة وسمعان الدبس وامين نخله ونصري المعلوف وميشال زكور وحبيب ابو شهلا فكنا نجتمع يوميا بعد انتهاء اشغالنا ، ولا نفترق حتى ساعة متاخرة من الليل . وكانت جلساتنا تعتبر بحق ندوات ادب وشعر وسياسة . فكم من قصيدة من قصائد هؤلاء الشعراء ألقيت ، اول ما ألقيت ، في ليلة من ليالي ندواتنا .

وعندما انشا ميشال ابو شهلا مجلة « الجمهور » بعد تركه «المعرض» عرض علي انا والفنان رأفت ان نشترك معه في اصدارها ، على انني وصديقي رأفت لم نكن على استعداد لدخول هذا المشروع الذي كنا نعده مغامرة . فوعدناه بالتأييد الكلي والمساهمة بالعمل .

الانسان والصحافي والشاعر

ويستطرد الاستاذ اديب حديثه عن ميشال ابو شهلا الانسان والصحافي والشاعر ، فيقول :

– ان ميشال ابو شهلا الانسان كان مضرب المثل في وفائه واخلاصه لاخوانه واصدقائه . وهو من القلة الذين عرفوا كيف يحافظون على صداقاتهم باخلاقه الرفيعة . فكم من مرة سامح من اساء اليه من اخوانه ، ولم يحمل قلبه الحقد لاحد . وبهذه المناسبة اذكر كيف انه في كتاباته السياسية كان يعالج موضوعه دائما بعبارات فيها الكثير من المرونة والتهذيب العالي ، حتى في اشد الحملات التي كان يحملها دفاعا عن فكرة او هجوما على اخرى .

لم يكن يقصد ارضاء رغبات الجماهير على حساب الحقيقة ، ولا النيل من كرامة الناس تشفيا لخلاف سياسي . ولا ينزل الى مستوى المهاترات والتدجيل على القراء قصد زيادة البيع مثلا ، بل هو من اقلام ذلك العهد التي كانت تحترم نفسها وتحترم قارئها ، فتحترم بذلك الحقيقة .

•

اخذت هذه الصورة في ٢٥ فبراير ١٩٤٣ وهي تضم من اليمين : سعيد فريحه ، الفقيد عمر فاخوري ، المستشرق الفقيد باول كراوس ، البير اديب ، الفقيد ميشيل ابو شهلا .



اما وفاؤه لاهل « المحلة » ـ وكان يقصد بهذا الاسم حي المصيطبة حيث تقوم دارته العامرة ـ فكان وفاء غريبا . فهو حاضر ابدا لحل كل مشكلة ، ولتلبية كل مساعدة يطلبها منه احد ابناء المحلة . والى هذا كان مشرفا ومعاونا في ادارة المدارس الارثوذكسية . فكان عضوا في لجنة ثلاثية لها . ولم يأل جهدا في العمل على ازدهار وتنمية هـذه المدارس .

اما شعره فكان مثله رقة واخلاصا وصدقا . وعندما نقرأه نشعر انه يتغلغل في صميمك ، وتحس به احساسا عجيبا . ذلـك انه ، كما اسلفت ، ينبع من صميم الشاعر ومن تجربته الشخصية . وتقلب مسحة الكآبة والعتب في شعره ، ذلك ان ميشال خبر الايام ، وعـرف حلوها ومرها ، عرف نعيمها وبؤسها . وان بقي في المجتمع باسما فرحا مرحا ، صاحب فكاهة ونكتة ، ففي صميم قلبه الشاعر كانت تنزى الجراح وتسيل قطرات الدم تعبيرا في ابيات حزينة وشاكية .

وهو من هذه المدرسة التي جمعت بين فتانة الديباجة والصياغـة ، ومشارف الشعر الحديث الذي ضم الاخطل الصغير وابو شبكة وغصوب وسواهم . ولو تسنى له ان ينصرف الى الشعر كما انـصرف الى الصحافة ، لكان ترك فيه اثارا كثيرة .

فشل الجمعيات الادبية

وحول سؤال وجهته الى منشيء « الاديب » عن سبب عدم قيـام تعاون ادبي بين مختلف ادبائنا ، وفشل الجمعيات الادبية التـي لا تكاد تظهر فتغيب ، قال :

ـ يعود ذلك الى اننا مع الاسف نعالج قضية الادب ـ كمـا نعالج سائر قضايانا الاجتماعية والسياسية ـ على ضوء العاطفة والانانية . ونترك العقل والحقيقة والتجرد جانبا . لذلك لا اعتقد بامكانية قيام جمعية تضم شمل الادباء .. جميع الادباء ، ما لم نتحرر تماما من اهوائنا وميولنا ، وننظر فقط الى قدسية الكلمة والحرف . فنعمل على رفع شان الادب الصحيح دون اعتبارات لمذاهب سياسية او مدارس ادبية فنقيم الادب بمقاييس النقد العلمي الصحيح . وكل عطاء تتوفر فيه شروط العطاء الخير من فكر واسلوب يجب ان ياخذ مكانته . وعندما تتضافر جهود الادباء على ذلك ، بوسعهم انشاء جمعية لا يكون مصيرها كسابقتها .

الشعر الحديث

ليس من شعر حديث ولا من شعر قديم ، كما يقول الاستاذ اديب . فكل عطاء جميل هو شعر . انا اتذوق قصائد كتبت من الف عام كما اتذوق قصائد كتبت اليوم . وقد لا استسيغ قصائد كتبت حديثا ، كما قد لا استسيغ قصائد وضعت قديما .

انني لا اذكر اسم الكاتب الذي قال: تقسم الكتـب الى قسمين، كتاب الساعة وكتاب كل ساعة . او بعبارة اوضح هنالك ادب ينتهي بانتهاء الضجة المناسبة او الظرف الملائم لظهوره والدعاوة له . وهناك ادب خالد يتخطى الظروف والمناسبات والاجيال ، ويبقى حيا خالدا جديدا دائما ابدا .

العامود الشعري

اما بخصوص العامود الشعري ، فانني لا احبذ الوزن والقافية . ولذلك كنت اول من نشر هذا النوع من الشعر الذي عرفت به منذ سنة ١٩٢٦ في مصر . لانني ـ وهذا رأي شخصي ـ اعتبر ان الوزن والقافية قيدان مسبقان لتجربة الشاعر التي يود التعبير عنها .

واذا كنا نقرأ احيانا شعرا موزونا مقفى ، له جماله وروعته ، فانني على يقين انه لم يمثل تجربة الشاعر تمثيلا صادقا ، بل كثيرا ما اضطر الشاعر الى التعديل والتحوير ليلائم بين ما تبقى من تجربته وبين القافية والوزن .

الترجمات

ومن ناحية انتشار الترجمة ، فان قلة في العالم العربي هم الذيـن يتقنون لغتين اتقانا تاما كاملا متساويا . ولذلك كانت اكثر الترجمات مع حسن نية وجهود بعض المترجمين ، تبعد كثيرا عن الاصل المترجم .

لقد تسنى لي مرارا ان اطالـع بعض الكتـب باللغتين الفرنسية والانكليزية ، ثم اطلع على ترجمة لها بالعربية . فكثيرا ما كنت استغرب الترجمة العربية التي تكاد تكون تاليفا لا ترجمة . وبصراحة اكثر ان الترجمة عندنا تعاني مأساة .. مأساة التهريج الذي تطفو بعض ملامحه على كثير من قضايانا الادبية .

الرجوع الى الادب القديم

ومن جهة تمكن الاديب الحاضر من الادب الكلاسيكي ، فان الاستـاذ اديب يرى انه لا يمكن للاديب الناشيء ان يطمئن الى مستقبله الادبي اذا لم يكن متمكنا من اللغة مطلعا الاطلاع الكافي الوافي على الادب الكلاسيكي . ولا يمكن له ايضا ان يطمئن ما لم يساير الحركة الفكرية والادبية في العالم . وذلك باتقانه احدى اللغات العالمية، واطلاعه الدائم دون توقف او تمهل .

فالاديب بحاجة الى ان يغذي عقله بشكل دائم ليتمكن من العطاء الدائم والا نضب عطاؤه وشح خيره ، واصبح يلوك اليـوم ما قاله بالامس . ثم يصبح كثير الاعتماد على الديباجة والاسلوب والبلاغة لستر ضحالة الفكر .

القضايا الفنية والسياسية

اما من ناحية اطلاع الاديب على سائر قضايا العالم من علمية وفنية وسياسية .. فانه يقول :

نحن في عصر متماسك الاجزاء مرتبط ارتباطا قويا متلاحما . فمـا من رأي ادبي او فني او اجتماعي او اقتصادي يمكن اطلاقه بمعـزل عن تأثيرات المجتمع بكامله ، بل اقول من اللازم ان يكون متجاوبا مـع احدث النظريات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والفنية . والا اعوزته الكثير من عوامل حقيقة عصره . وبعبارة اوضح اصبح غريبا عن حضارة العصر .

ابراهيم عبده الخوري

حصيلة العام الادبي في لبنان

منذ الابد السحيق ما زالت هناك سنة تمضي وسنة تاتي . وهكذا تمضي سنة ١٩٦١ لتترك المكان لسنة ١٩٦٢ ، وقد اعتاد المرء عند انتقال السنوات وتلاحقها – خاصة بسرعة كما نشهد حاليا في عصرنا الحاضر – ان يراجع « حساباته » ويستعرض ماذا تحقق خلال هذه الاثني عشر شهرا التي مضت من اعمال ومنجزات .

ونحن في هذه العجالة لا نريد ان نستعرض كل ما حفلت به سنة ١٩٦١ من احداث ادبية ومظاهر فكرية ثقافية فهذا امر معروف نترك لغيرنا مهمة القيام به . ولكن ما نلاحظ ان العام الذي قفلنا به صفحة من حياتنا كان سجلا حافلا بالنشاط الادبي الذي تم عن وعي وتقدير وامل في الانبعاث يجعل للادب والفكر مكانة مرموقة تفوح بالشذى وتعم مختلف الاوساط .

فقد عادت للشعر – قديمه وحديثه – دولته وزهوته وسلطانه وازداد قائلوه ومتذوقوه وتعددت مدارسه ومذاهبه .. كما ازداد الاقبال على الرواية – انتاجا ومطالعة – واصبحت تحتل من ادبنا شطرا هاما لم نكن نحلم به قبل سنوات . وانتشر العمل في الابحاث والدراسات والمؤلفات التاريخية بحيث اصبحت تعج بها مكتباتنا .. واصبحنا نفتقد القصة الجيدة القصيرة بعد ان قل منتجوها ، وبلغ من كثرة الاهتمام بالادب ، والمقالات الادبية ، ان اصبح عدد المجلات الادبية التي تصدر في لبنان هذه الايام يزيد عن ثلاث عشرة مجلة ادبية شهرية نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، المجلات التالية : الاديب ، الآداب ، العلوم ، المعارف ، الورود ، الانطلاق ، رسالة التربية ، المشرق العرفان ، الطريق ، الحكمة ، الثقافة العربية . ولا ننسى اقبال المجلات الاسبوعية وحتى الصحف اليومية على تخصيص صفحات دورية للادب، واخبار الادباء، وتطور الحركة الفكرية في لبنان والعالم العربي والخارج.

كما اننا بتنا نشهد ظاهرة طيبة مشجعة جدا الا وهي تتبع قرائنا للحركات الادبية في الخارج بشغف واندفاع – ساعدتهم على ذلك قوة حركة الترجمة – مما جعل محيطنا غير مقصر عن اللحاق بركب الحضارة : حضارة الثقافة والفكر النير المبدع . وبات قراؤنا لا يسمعون مثلا برواية عالمية او اثر ممتاز نال رواجا في الغرب الا ويجدون هذه الرواية او هذا الاثر مترجما بين ايديهم خلال ايام قليلة، تتداوله الايدي بكل حرية . وهكذا فان القارىء العربي في لبنان قد لا يفوته شيء من الاطلاع على روائع الغرب وشانه في ذلك شان اي قارىء غربي.

كل ذلك حسن وممتاز ، وهو يبشر بالخير العميم ، ويذكي جذوة ايماننا بقوة استيعاب شعبنا وهضمه السريع للثقافات العالمية . ولكن المؤسف اننا لا نتلمس تاثير هذا الاندفاع الفياض في النشاط الادبي والفكري على مجرى حياتنا العامة . اذ ما تزال اساليب ادارة شؤوننا العامة وطريقة معالجتنا لمشاكلنا المتعددة كمجموع بدائية متاخرة تسير سير السلحفاة ، ولا تنسجم مطلقا مع انطلاقنا الثقافي ومع مظاهر نشاطنا الفكري ، ودلائل وعينا الادبي . كما ان شكل مجتمعنا لا يتلاءم ابدا مع ما يقدم لنا من حضارات وافكار عن تمدن الاخرين ، واسلوب عيشهم ، ومدى تقدمهم ، وما زال سلوكنا نحو انفسنا ونحو بعضنا البعض ابعد ما يكون عن معنى المدنية الرفيعة ، والثقافة الانسانية او المثل العليا البسيطة التي تزخر بها آداب الامم ، وتدعو اليها اراء المفكرين والكتاب ، وتطبقها الشعوب ، وتاخذ بها جماهير العالم المتمدن، حتى اصبحت وكانها عادة متاصلة في اخلاق القوم وطريقة تفكيرهم ومعاملاتهم ونظرتهم الى الامور .

وهنا ياخذنا العجب وتستولي علينا الدهشة ونتساءل بحرارة ما هو السبب يا ترى في هذا التناقض ؟ للاجابة على ذلك لا بد من الافتراض بانه : اما ان يكون مثقفونا اقلية ضعيفة او مستضعفة رغم مظاهر التضخم الخداعة ، وهي لذلك عاجزة مغلولة اليد غير قادرة على ان تترك اثرا بعد في محيطنا ، مع كل ما لديها من امكانات ، وما تلقاه من تشجيع واقبال ، وما تبذله من نشاط ، وما تتفتح امامها من مجالات متعددة موفورة . واما ان يكون مجتمعنا في الواقع مقدودا من جلاميد صخور مصفحة ، باتت لا تؤثر فيه اية تيارات جديدة من التقدم الحضاري والفكري ، او الاتجاهات الثقافية الرفيعة ، مهما كانت على جانب كبير من الثورية والحيوية والديناميتية .

والقضية ليست اولا واخرا في كون الطبقة المثقفة المفكرة او من يطلقون عليها اسم « الانتلجنسيا » هي اقلية او اكثرية بالنسبة لمجموع الشعب . بل ان المسالة هي اعمق وابعد من ذلك بكثير اذ انها تتصل اتصالا وثيقا بعدد تاثير هذه «الانتلجنسيا» وطريقة تفاعلها مع محيطنا.

اذ المعلوم ان جماعة «الانتلجنسيا » في كل بلد من بلدان العالم هم اقلية ، او قل حفنة ضئيلة من الرجال المفكرين ، والعقول الواسعة الثقافة المبدعة انتاجا وعملا ، ولكنهم غالبا ما يكونون مسموعي الكلمة ، نافذي الراي ، يستطيعون ان يتركوا صدى قويا جبارا في جميع الاوساط ، عند اقل بادرة يدعون اليها ، او عند اضعف نشاط يبذلونه في التوجيه والاصلاح .

بيد ان الفرق الكبير بين « الانتلجنسيا » في بلادنا و « الانتلجنسيا» في بلدان الغير اننا سلبيون وسواانا ايجابيون ، واننا خاملون ضعفاء وسوانا متفجرون حيوية وقوة ... واخيرا نحن نتمسك بالمظاهر والقشور وغيرنا يهمه الجوهر والعمق ...

ولا نريد الان ان نحمل الطبقة المثقفة فينا كل التبعات ، او نضع على عاتقها كل الملامات والتقريعات ، اذ يشهد الله ان «الانتلجنسيا» اللبنانية بذلت من الجهد كل ما تقدر عليه ، وحققت من النشاط اكبر من طاقتها ، وماذا يمكن ان تفعل هذه « الطبقة » اذا كان تاثيرها ظل ضعيفا او يكاد لا يذكر ، اذا كانت سائر الطبقات ما زالت تنظر اليها نظرة الحذر والريبة ، او بالاحرى نظرة الاستهتار واللامبالاة ، فتضع العصي في عجلاتها ، وتفرش دربها بالحصى والمسامير ؟؟ وكيف يمكن للانتلجنسيا ان تتجاوب مع الجمهور وامامها ابواب موصدة ، وجدران رفيعة من التقاليد البالية ، والطائفية الوبيلة ، والحزبية البغيضة العمياء ، والروح الخلقية الوضيعة التي لا تتسامى عن الصغائر .

ولهذا السبب نجد طبقة المفكرين عندنا بالاحرى سلبية منكمشة على نفسها ، بدلا من ان تكون ايجابية متفاعلة خلاقة ، ولهذا السبب ايضا نجد كم ان البون شاسع بين مستوى مثقفينا ومستوى شؤوننا العامة التي نعيشها كل يوم . ولهذا السبب ندرك كم نحن بحاجة الى معاول لهدم جدران هذه الحواجز التي تفرق بين طبقتي المثقفين الواعين وغير المثقفين الجاهلين ، مع ان الثقافة مشاعة للجميع وهي ليست من الشؤون الكمالية العسيرة المنال ، او الصعبة على ادراك المفاهيم الذكية المتفتحة ، وانا لا اريد ان اتكلم هنا عن « انصاف المثقفين » ممن تحجرت عقولهم وجمد تفكيرهم ، واصبحوا رجعيين خطرين على المجتمع اكثر من الجاهلين .

وانما اعني بالثقافة تلك التي توسع مدارك المرء وتفتح اذهانه على حضارة العالم المتمدن المتقدم ، وتجعله يصبح ذا نظرة بعيدة انسانية واسعة . وهذا النوع من الثقافة هو ما يجب ان نجعله يعمم وينشر بين سائر طبقاتنا حتى يكون تاثير قادة الفكر والثقافة فينا ابلغ وابعد اثرا . وبذلك تضيق الشقة بين المثقفين وعامة الشعب . ومن هنا فان المهمة التي تنتظر مفكرينا وطبقة المثقفين ثقافة واعية فينا هي مهمة جسيمة كبرى ، يجب ان يذللوا بوجهها كل ما يقوم من عقبات وحواجز ، حتى يجعلوا لنشاطهم دويا ، ولانتاجهم تاثيرا ، ولتوجيهاتهم صدى ، ولدعواتهم الاصلاحية سبيلا للتحقيق ، املا في انهاض مجتمعنا، وجعل جماهير شعبنا في مستوى هذا الزخم الادبي الفياض المبارك الذي شهدنا طلائعه في العام الماضي ، ونامل ان نشهد نتائجه الايجابية الفعالة في العام الجديد ، وكل عام وانتم بخير .

اديب مروة



ديسمبر ١٩٦١

١٨ ـ شنت قوات الهند هجوما على الجيوب البرتغالية المحتلة على ساحل الهند الغربي واحتلت اثنين منها وتوغلت في غوا وهي اكبرها .

ـ عقد مجلس الامن جلسة للنظر في شكوى البرتغال ضد الهند .

ـ جمعت امريكا في قاعدة كيتونا على نهر الكونغو ، ادولا وتشومبي لحل مشكلةكاتانغا بالمفاوضة .

١٩ ـ اعلنت نيودلهي : تم احتلال غوا واستسلم البرتغاليون .

ـ وضع سوكارنو جيشه على اهبة الاستعداد للهجوم على ايريان الغربية وتحريرها من الحكم الهولندي مؤكدا انها جزء من اندونيسيا .

ـ عطل الفيتو الروسي قرار مجلس الامن بالدعوة الى وقف القتال في الجيوب البرتغالية بالهند .

ـ تقرر وقف القتال في كاتانغا بانتظار محادثات ادولا وتشومبي .

٢٠ ـ ابعدت غينيا السفير السوفياتي . وكان رئيس الجمهورية توري اعلن عن اكتشاف شبكة شيوعية لقلب نظام الحكم . هذا وقد الغت غينيا تاميم التجارة .

ـ وافقت الجمعية العامة على مشروع امريكي يحث لجنة التوفيق الدولية المؤلفة من امريكا وفرنسا وتركيا على تجديدجهودها لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين .

ـ وصل ماكميلان الى برمودا يرافقه اللورد هيوم وزير خارجية بريطانيا لاجراء محادثات مع كنيدي .

ـ طلبت الجمعية العامة للامم المتحدة من فرنسا وحكومة الجزائر الموقتة استئناف المفاوضات التي تهدف الى تنفيذ حق الشعب الجزائري في تقرير المصير .

٢١ ـ اعلنت الامم المتحدة ان تشومبي وقع على اتفاق بانهاء انفصال كاتانغا عن الكونغو .

ـ عاد الملك حسين الى عمان بعد اجراء فحوص طبية في لندن .

ـ قامت اندونيسيا وهولندا بمناورات حربية جوية . بذلت مساع جديدة لتسوية النزاع بينهما سلميا .

٢٢ ـ شكل الدكتور معروف الدواليبي الوزارة السورية الجديدة .

ـ انتهت محادثات برمودا بين كنيدي وماكميلان باتفاق على مفاوضات برلين .

ـ اصدر مكتب تشومبي بلاغا يقول ان اتفاق كيتونا لن يصبح ملزما الا بعد موافقة الحكومة وبرلمان كاتانغا عليه ، وان وجود السفير الامريكي في المحادثات قد لطخ جوها .

ـ قام ادولا بتحذير تشومبي من العواقب اذا لم تبادر كاتانغا الى اعلان التزامها بالوحدة قبل ٢٧ الجاري .

٢٣ ـ اعلنت كاتانغا انها اعدت مشروعا لتعديل بعض مواد قانون الكونغو الاساسي وانها سترسل وفدا برلمانيا الى ليوبولدفيل .

ـ عبد الناصر يخطب عن الثورة الثانية لاقامة عدالة اجتماعية اثناء الاحتفالات بعيد النصر في بور سعيد .

ـ قروض لغانا بلغت ١٠٠ مليون استرليني . نكروما يشيد ببريطانيا وامريكا لمساعدته .

ـ اكد بلاغ كنيدي ماكميلان المشترك ضرورة الاسراع في الاستعداد لاجراء تجارب نووية في الجو كجزء من تدابير الردع وعلى قيام امريكا باجراء اتصالات مع موسكو للعثور على اساس معقول للمحادثات بشأن برلين .

ـ ردت هولندا على برقية امين الامم المتحدة يوثانت الذي دعاها للامتناع عن استخدام القوة انها تحاول تسوية مشكلة ايريان تسوية تقبلها اندونيسيا .

ـ عثر على جثة كبير مندوبي الصليب الاحمر الدولي في كاتانغا جورج اوليفيه مع جثتي اثنين من مساعديه قرب اليزابيتفيل .

٢٤ ـ وصل يونو رئيس وزراء بورما الى القاهرة في زيارة لمصر .

ـ اكد خروشوف ان دستورا سوفياتيا جديدا يجري وضعه ليحل محل الدستور الذى اقر في عهد ستالين عام ١٩٣٦ .

ـ اذاع البابا يوحنا خطابا بمناسبة عيد الميلاد قال فيه : حكم التاريخ سيكون قاسيا على الذين لا يفعلون كل ما في وسعهم لابعاد شبح الحرب .

ـ اعلن البيت الابيض ان المحادثات التي اجراها كنيدي مع فرونديزي رئيس جمهورية الارجنتين ادت الى اتفاق مبدئي حول مختلف المواضيع .

٢٦ ـ اعلنت القاهرة فك اتحاد الدول العربية الذي يضم المتحدة واليمن ، وكان هذا الاتحاد قد جدد مؤخرا لمدة ثلاث سنوات .

ـ وصل الى جنيف بومنجل ممثل الحكومة الجزائرية لابلاغ الجانب الفرنسي قرارات الحكومة الجزائرية بشان محادثات الصلح الجارية الان مع فرنسا وتحاط طبيعة هذه القررات بالكتمان .

ـ انضمت قوة من جنود الكونغو الى القوات الدولية للعمل معها تحت قيادة الامم المتحدة .

٢٧ ـ اعلنت بريطانيا ان سفنا حربية تسرع باتجاه الشرق الاوسط وان حالة التاهب قد فرضت على قوات الاحتياط في بريطانيا والشرق الاوسط بسبب ازدياد التوتر في المنطقة .

ـ استانف الكونغو علاقاته الدبلوماسية مع بلجيكا بعد ١٧ شهرا من قطعها .

ـ استؤنفت المحادثات الخاصة في روما بين المندوبين التونسيين الفرنسيين حول بنزرت .

ـ وصل الى ليوبولدفيل وفد كاتانغا البرلماني للاشتراك في اعداد مسودة دستور الكونغو الجديد .

ـ اعلنت الخارجية الامريكية ان النزاع القائم بين العراق والكويت قد ادى الى قيام حالة توتر .

ـ فشل امراء لاوس في تاليف حكومة ائتلافية .

٢٨ ـ العراق يحيط مجلس الامن علما بالتدابير التي اتخذتها بريطانيا اخيرا في الشرق الاوسط .

ـ طلبت الهند من بريطانيا السعي للافراج عن الهنود الذين اعتقلتهم البرتغال في لشبونة بعد احتلال غوا .

ـ تشومبي يتهم القوات الدولية بالاستعداد لمهاجمة قوات كاتانغا .

ـ صرح نهرو ان باب استخدام القوة مفتوح امام الهند في نزاعها على الحدود مع الصين الشيوعية .

٢٩ ـ بعثت الكويت باحتجاج الى مجلس الامن ضد ما اسماه «الغفط العراقي المستمر» .

ـ ابرق اللورد هيوم الى تشومبي يحثه على التقيد بالاتفاق الذي عقده مع ادولا لانقاذ وحدة الكونغو .

٣٠ ـ منعت السلطات الامريكية القائد السوفياتي ومستشاريه من دخول القطاع الامريكي في برلين واعتبرت السلطات الروسية هذا المنع حدثا خطيرا .

ـ اعلن راسك وزير خارجية امريكا ان الغرب مصمم على الدفاع عن مصالحه في برلين مهما كلفه الامر .

ـ نفت سفارة الجمهورية المتحدة في وشنطن الانباء التي ذكرت بان محادثات جرت بين القاهرة وموسكو لاقامة قواعد عسكرية سوفياتية .

٣١ ـ اعلنت الجامعة العربية انها تلقت احتجاجا من الكويت ضد ضغط العراق وتهديده المستمر للكويت .

ـ اعلن قائد الجيش اللبناني ان حركة شغب حدثت في بيروت وقد قضي عليها .

يناير ١٩٦٢

١ ـ اعلن في بيروت ان الحزب القومي الاجتماعي وضع الخطة الانقلابية وتولى تنفيذها معتمدا على النقيب فؤاد عوض آمر سرية صور لتنفيذ الجزء العسكري منها . وقد قضى الجيش على الحركة ولاحق زعماء الحزب وبلغ عدد الموقوفين ٢٠٠٠ شخص للتحقيق معهم .

٢ ـ توفي في دمشق فارس الخوري أحد رؤساء الحكومة ومجلس النواب والزعيم العربي المعروف .

ـ بدأ وزير خارجية روسيا غروميكو والسفير الامريكي تومبسون محادثاتهما بحثا عن اساس لتفاوض الغرب والشرق على برلين

ـ اعلنت هولندا استعدادها لمفاوضة اندونيسيا بشان ايريان الغربية دون شروط مسبقة .

ـ رفض تشومبي الانصياع لامر كاسافوبو بان يجتمع نواب كاتانغا في قاعدة كامينا تحت حماية الامم المتحدة .

٣ ـ البرت كالونجي الذي اعلن نفسه منذ سنة ملكا على جنوب كاساي قد اعتقل بامر من محكمة ليوبولدفيل بتهمة سوء معاملة خصومه .

ـ تجري في الرباط محادثات بين الملك حسن وبن خده رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة .

ـ اعلن رئيس الارجنتين فروندیزي ان الارجنتين والولايات المتحدة اتفقتا على حماية جامعة الدول الامريكية .

ـ كنيدي يامر بانشاء فرقتين بريتين جديدتين في الجيش الامريكي .

٤ ـ استانف المستوطنون الفرنسيون الارهابيون حملة التقتيل في الجزائر .

ـ وافقت امريكا وروسيا على ان تستانف لجنة الـ ١٨ دولة محادثات نزع السلاح في جنيف في ١٤ مارس .

ـ مجلس كاتانغا يناقش اتفاق انهاء الانفصال . تشومبي يدعو الى تعديل دستور الكونغو لاقامة اتحاد فدرالي .

ـ وصفت امريكا كوبا بانها جسر للاستعمار السوفياتي وان حكم كاسترو يشكل خطرا بالغا على امن الجمهوريات الامريكية وشعوب العالم .

ـ صرح الامير الحيادي سوفانا فوما ان رئيس الحكومة اليمينية الامير بون اوم نكث بجميع وعوده لتشكيل حكومة ائتلافية ونسف الجهود لاقرار السلم في لاوس .

ـ اعلن سوكارنو ان اندونيسيا لن تفاوض هولندا الا على اساس استرداد ايريان الغربية .

٥ ـ مؤتمر لاوس في جنيف يدعو امراء لاوس الثلاثة الى جنيف لتسوية الخلاف بينهم

ـ قال نهرو غضبت بريطانيا وامريكا لاحتلال غوا لانهما لا تريدان ان تشاهدا آسيا وافريقيا تتقدمان .

ـ اعلنت التعبئة العامة في شرقي اندونيسيا لمواجهة لايريان الغربية .

ـ قالت امريكا بان الحالة في فيتنام الجنوبية لا تزال خطرة والمساعدات الامريكية لم تحقق أي تحسن ذي مغزى .

٦ ـ تستمر في لبنان حملة مطاردة المتهمين بالاشتراك في حركة العصيان الفاشلة وقد بلغ عدد المعتقلين ٢٨٠٧ اشخاص .

ـ وصل الى كوناكري نائب رئيس الحكومة السوفياتية ميكويان لاجراء محادثات مع سيكوتوري بشان العلاقات بين غينيا وروسيا.

ـ اعلنت امريكا استئناف العلاقات الدبلوماسية مع الدومينيك .

ـ اعلن الاتحاد السوفياتي انه لا ينوي عقد اتفاق يمدد احتلال الغرب في برلين .

٨ ـ جرت محاولة لاغتيال سوكارنو انفجرت قنبلة بالقرب منه ولم يصب باذى وقع ٣١ قتيلا وجريحا .

ـ اعيد مولوتوف الى منصبه في لجنة الطاقة الذرية الدولية في فيينا وكان الحزب الشيوعي قد امر بمحاكمته مع غيره من الزعماء لمناوئتهم للحزب .

ـ وصل ماكميلان واللورد هيوم الى بون لاجراء محادثات مع اديناور .

ـ اصدر كنيدي بيانا عن اجتماعه بممثله في برلين الجنرال كلاي اعلن فيه اتفاقهما على السياسة التي ستتبع في مواجهة اي وضع متازم في برلين .

ـ اذاعت الانباء ان الروس عرضوا في مذكرة على الالمان الغربيين عرضا مغريا ولكنه غامض بشان امكان توحيد المانيا واحتمال توفر اسواق سوفياتية في حال التوصل الى اتفاق الماني سوفياتي .

٩ ـ عين سوكارنو الجنرال سوهارتو قائدا لقوات التحرير ضد الهولنديين في ايريان الغربية .

ـ وصل فانفاني رئيس حكومة ايطاليا وسيني وزير الخارجية الى الرباط في زيارة رسمية الى المغرب .

ـ اتخذ برلمان الكونغو قرارا بدعوة غيزنغا نائب رئيس الكونغو الى ليوبولدفيل لمواجهة التهم الموجهة ضده .

ـ صدر بلاغ مشترك عن محادثات ماكميلان واديناور جاء فيه ان المانيا ستزيد مشترياتها من الاسلحة البريطانية لمواجهة المصاعب المالية التي تواجهها بريطانيا بسبب وضع قواتها في برلين الغربية . كما تحدث البلاغ عن قضية برلين والمفاوضات مع الروس .

١٠ ـ تظاهر الاف الطلبة الاتراك ضد الشيوعيين في استانبول بعد ان اشيع انهم اشعلوا النار في منزل اتاتورك .

ـ حكومة الجزائر تعلن استعدادها لمفاوضة فرنسا على اساس اتفاق يضمن مصالح فرنسا والمستوطنين .

ـ اعلنت البانيا عن رغبتها في انشاء علاقات دبلوماسية مع الدول الغربية .

ـ وصل ميكويان الى اكرا في زيارة رسمية الى غانا .

ـ رفض غيزنغا مبارحة ستانلي فيل للمثول امام برلمان الكونغو .

١١ ـ توفي فوزي الملقي رئيس وفد الاردن الدائم في الامم المتحدة وأحد رؤساء الوزراء السابقين .

ـ جاء في رسالة الاتحاد التي قدمها كنيدي للكونجرس الامريكي : لن نالو جهدا في السعي لحل قضية برلين سلميا ، أما قواتنا فقد عززناها استعدادا للطوارىء .

ـ قبل امراء لاوس الثلاثة دعوة مؤتمر جنيف لتسوية نزاعهم .

١٢ ـ عرضت باكستان قضية كشمير على مجلس الامن مرة جديدة .

ـ اعلن مجلس الثورة العسكري في كوريا الجنوبية اكتشاف مؤامرتين منفصلتين لقلب الحكومة .

ـ دعى المجلس الاستشاري في ايريان الغربية الى الاجتماع لمناقشة حق سكان ايريان في تقرير مصيرهم .

ـ استانف السفير الامريكي تومبسون محادثاته بشان برلين مع غروميكو وزير الخارجية السوفياتية في موسكو .

١٣ ـ وصل الهر لوبكه رئيس جمهورية المانيا الغربية الى مونروفيا في زيارة رسمية الى ليبريا .

ـ اعلن الجنرال هانز فوهمان وزير دفاع المانيا الشرقية اتخاذ التدابير اللازمة لضمان الدفاع عن المانيا الشرقية ، وقال ان المطالبة بالخدمة الاجبارية تتناسب مع المقتضيات الحالية .

مطبعة الغريب شارع موفاين - بيروت - ت : ٢٤٦١٨٥